

العدد الثالث من السنة الرابعة

صفر سنة ١٣٦٢ — مارس سنة ١٩٤٣

مجلة

# الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

٨٥٣١٢ تليفون : حسن الشريف : مدير التحرير

القاهرة  
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٤٣

## فهرس العدد

صفحة	
٣	كيف ينبغي أن يكون النظام التضامى ... .. توفيق دوس باشا ... ..
١٢	كيف ينبغي أن تكون الأخلاق ... .. أحمد لطفي السيد باشا ... ..
٢٠	العلاقات الدينية بين الأمم ... .. الدكتور منصور فهمى بك ... ..
٢٩	الاسلام دين الخدمة الاجتماعية ... ..
٣٣	الموظف ماله وما عليه نحو المجتمع ... .. أمين خيرت الغندور بك ... ..
٣٧	الاتجاه الاجتماعى القومى فى شؤون التعليم ... .. الأستاذ سيد قطب ... ..
٤٤	الثروة الحيوانية الضائعة ... ..
٥٠	الشباب المصرى ... .. الأستاذ صلاح الدين الشريف ... ..
٥٥	الأميرة السعيدة ... .. الكاتبة زينب محمد حسين ... ..
٦٠	جولات فى معاهد الإصلاح ... .. الأستاذ محمد عبد الكرم ... ..
٦٦	الشباب والخدمة الاجتماعية ... ..
٧٠	ملاحظات طابرة ... ..
٧٣	مروحة اليدى وندرمير (تمثيلية اجتماعية) ... ..

## النظام القضائي في مصر

### وكيف ينبغي أن يكون

لحضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

”المحاضرة القيمة التي ألقاها سعادتكم بالجامعة الأمريكية في الشهر الماضي“

سيداتي صادقي :

إذا كان من واجبي - في كل مرة أعتلى هذا المنبر لألقي محاضرة - أن أقدم بوافر الشكر للجامعة الأمريكية أن هيات لي الفرصة لأساهم في ذلك العمل الثقافي الضخم الذي تقوم به هذه الجامعة عن طريق قاعة يورت التذكارية أو هذه القاعة الشرقية، فإني أرى هذا الواجب مضاعفا هذه المرة لأن الموضوعات التي تختيرتها الجامعة الأمريكية لمحاضرات هذا العام من أكثر الموضوعات صلة بالظروف القاسية التي يمر بها العالم والمحنة الشديدة التي يمتحنه بها القدر .

لقد عنيت الجامعة الأمريكية هذا العام في هذه المحاضرات بالحرب وما بعد الحرب وما ينبغي أن تكون النظم المختلفة في مصر لتساهم في التعاون العالمي المنشود بعد الحرب ، ولقد سبقني على هذا المنبر هذا العام بعض خيرة العلماء والباحثين وصفوة الخطباء والمفكرين فتكلموا فيما ينبغي أن يكون عليه النظام في مصر لتساهم في التعاون العالمي المنشود من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى غير ذلك ، ثم جاء دوري في الكلام على ما ينبغي أن يكون عليه النظام القضائي في مصر لتساهم في التعاون العالمي بعد الحرب .

وإذا ذكرنا هذه الحرب، تمتثت أماننا فورا تلك الكوارث والبلايا التي تصبها الإنسانية على الإنسانية في القرن العشرين ، قرن المدنية والرقى والتقدم ، بل تمتثت أماننا فورا تلك الألوف ومئات الألوف من الضحايا البشرية وجلها إن لم يكن كلها من خيرة الشباب في العالم تضحيتها مطامع أفراد لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين على مذبح الهوى والرغبة الجالحة في سيادة العالم والسيطرة على حرية الشعوب والأفراد وعقولهم وضمائرهم ليصبح الكل آلات صماء توجهها الحكومات أنى شاءت وكيف شاءت ، وبذلك تطوى تلك الصفحات المحيطة من صفحات الإنسانية ، تلك الصفحات التي قررتها الثورة الفرنسية وما إليها من تقرير حقوق الإنسان ومبادئ الحرية والإخاء والمساواة .

أيها السادة :

إن المشاكل التي سيواجهها العالم بعد انتهاء الحرب لن تقف في نظري عن مشاكل الحرب ذاتها إن لم تكن أكثر تعقيدا منها، سواء في ذلك المشاكل الاقتصادية أو الاجتماعية أو القسائية وغيرها . ذلك أن جميع النظم التي نعرفها الآن والتي تأقمتها في دور العلم ستتقلب كلها رأسا على عقب كنتيجة لهذه الحرب . أما ما ستتقلب إليه بخين في بطن الغيب لا يعلمه إلا الله وأشك كثيرا في أن يعلمه الراسخون في العلم . ولأضرب لكم مثلا واحدا يبين لكم صعوبة حل هذه الاشكالات .

لقد كان من نتائج الحرب الكبرى الماضية أن أصبح كل التعامل تقريبا يجري بواسطة ورق النقد . وحتى يكون للورق قيمة وضع الاقتصاديون أسسا لإصداره ومن أهمها أن يكون له غطاء من الذهب يتراوح بين نصف قيمته أو ثلث قيمته أو ما يقرب من ذلك . فإذا أصدرت دولة من الدول أوراقا للنقد بقيمة مائة مليون من الجنيهات وجب أن يكون لديها في خزائنها نصف هذه القيمة من الذهب أو ثلثها . ثم اضطر الاقتصاديون بعد ذلك إلى الاستعاضة عن الذهب في بعض الأحوال بسندات قروض الحكومات أو أسهم الشركات والبنوك المليئة الثابتة الحسنة الإدارة . على أن أساس تقدير قيمة هذه القروض أو السندات إنما هو في مجموعها نسبتها كذلك إلى الذهب سواء بسواء .

جرى الحال على هذا المنوال إلى أن قامت الحرب الحالية واستلزمت من المتصاريف لإدارتها أن اضطرت الدول جميعا إلى إصدار ورق النقد تعمل فيه المطابع ليل نهار لمقابلة تلك الأرقام الضخمة التي تصرفها الدول كل يوم . أفندرون ما هو الرقم الذي أثبتته الإحصاء العام عن قيمة الأوراق البنكية المتداولة في العالم في آخر ديسمبر سنة ١٩٤١؟ لقد وصل إلى ثلاثمائة ألف مليون جنيه . واعتقادي أنه في ديسمبر سنة ١٩٤٣ لا بد أن يكون قد وصل إلى خمسمائة ألف مليون جنيه . وهل تعلمون مقدار الذهب في العالم كله؟ لقد كان في آخر ديسمبر سنة ١٩٤١ خمسة آلاف مليون جنيه ولا أعتقد أنه زاد شيئا يذكر في سنة ١٩٤٣ . وبعملية حسابية بسيطة تجدون أن غطاء ورق النقد في العالم كله الآن هو واحد في المائة من الذهب . قولوا لي بحكمكم كيف يكون الحال عند انتهاء الحرب وما الذي ينتظر النظرية الاقتصادية من وجوب إيجاد غطاء لورق النقد بنسبة معلومة من الذهب . ستقولون لي وماذا يكون الحال إذن؟ لا أدري ولا أعتقد أن أحدا غيري الآن يدري؟ ولكن إنهم لا شك فيه أنه يجب إيجاد حل للنظام الاقتصادي غير ما هو معروف الآن . وسيجده الباحثون وسيصلون إليه يوما ما .

لهذه المشكلة ولغيرها من مشاكل المتعطلين بعد الحرب ، ومشاكل الحواجز الجبركية ،  
ومشاكل الموارد الأولية وتوزيعها بين الدول ، ومشاكل نظام المستعمرات ، ونظام التسليح ،  
وما الى غير ذلك ، تكونت في معظم الدول الكبرى لجان همها الأول وضع هذه النظم من  
الآن حتى لا يفاجأ العالم عند انتهاء الحرب بأن يجد نفسه وجها لوجه أمام هذه المشاكل .  
ثم يأخذ في البحث عن حلها فيضيع على الإنسانية وقت كبير — وقد يكون كبيرا جدا —  
في الوصول الى تلك الحلول . وكل ما أرجوه ويرجوه معي كل من تهمة سمادة الانسانية أن  
يصل أولئك الباحثون الى الحل الموفق السديد .

على أن أهم تلك المشكلات في نظري ونظر أولئك الباحثين هو إيجاد نظام يضمن للعالم  
عدم العودة الى الوحشية مرة أخرى بإثارة حرب جديدة بعد قليل من الزمان . وهذا يجبرنا  
فورا الى الدخول في موضوع محاضرتي هذه الليلة إذ لا يمكن أن تقع الروح الشريرة التي  
تعشق الولوغ في الدماء ولا تعيش إلا بالتخريب والتدمير، لا يمكن أن تقع تلك الروح  
الشريرة إلا بوجود هيئة قضائية عليا تقضى عليها القضاء المبرم كما أرادت أن تنفس فتكم  
أنفاسها قبل أن تقدم على أولى خطواتها لتلقى بالعالم من جديد في آتون من نار، ولن يكون  
لهذه الهيئة القضائية قيمة ولن يكون لقراراتها ما يجب لها من الاحترام إلا إذا كان لديها  
من القوة التنفيذية ما يمكنها من إملاء إرادتها بتنفيذ أحكامها على من تصدر عليهم هذه  
الأحكام . فإن أحكام القضاء في العالم كله إنما هي حبر على ورق إذا لم يوجد المحضرون الذين  
ينفذونها ووراءهم قوة الدولة بأجمعها تؤيدهم في ذلك التنفيذ .

ولقد فكر الحلفاء في هذا عقب الحرب العالمية السابقة فأنشأوا عصبة الأمم كحكمة دولية  
توقف المعتدى عند حده واعتقدوا أنهم وصلوا بذلك الى الحل الذي يضمن للانسانية سلامها  
الدائم واختفاء شبح الحروب الى أمد طويل . ولكن الزمن والتجربة أثبتتا مع الأسف  
الشديد أن تلك الهيئة ولدت سقطا . فقد اعتدت ايطاليا وكانت أحد أعضاء العصبة على  
الجهشة وكانت كذلك من أعضاء العصبة ، وطوحت باستقلالها ومعظم أعضاء العصبة متفرج  
على هذه المأساة . كذلك كان شأن الصين مع اليابان . ولقد كان العيب في نظري كل العيب  
هو أنه لم يكن لدى العصبة القوة المادية لتنفيذ قراراتها . ولو كان لديها هذه القوة مهما  
كلفها إيجادها لأمكن تفادي هذه الحرب الحالية وانوفر على العالم مئات أضعاف ما كانت  
تكلف هذه القوة من المصاريف فوق ما كان يوفر على الإنسانية من تلك الضحايا البشرية  
التي لا يعلم إلا الله عددها ، وذلك الحراب والدمار اللذين حلا بالعالم واللذين يحتاجان  
الى ما لا يخطر بالبال من مال ومجهود لإعادة البناء والتعمير .

تلك في نظري هي أهم ما يجب البحث فيه من الآن لتوضع أسسه بعد الحرب مباشرة .  
وإن كان لمصر أن تساهم في هذا النظام القضائي العام فإنما هو من الطبيعي لأن مصر من الأمم

الصغيرة التي ليس لها جيش يذكر بالمقارنة مع النظم الحالية للجيش ، ولأن الفائدة التي تعود على الأمم الصغرى من وجود هذه المحكمة الدولية إنما أقله الدفاع عن كيانها وضمأن وجودها وبقائها متممة بما لها ولأفرادها من الحرية والسلطان .

أما نوع تلك المساهمة فقد يكون معنويا أكثر مما هو مادي ، ونظريا أكثر مما هو فعلى اللهم إلا أن يكون لما ضمن القوة التنفيذية لأحكام تلك الهيئة القضائية نصيب من أبنائها وجزء من مواطها فتشترك بهذا وذلك ، على ما سعه طاقتها في ذلك العمل الجبار والمجهود الضخم الذى يشيد قصر السلام فى العالم فبعيش الناس ماضين على مستقبلهم ومستقبل أولادهم ولو إلى حين .

لقد درنا فى كليات الحقوق بين ما درنا من مختلف القوانين ، ما كانوا يسمونه القانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص ، وهما ما يرتب العلاقات بين الدول كما ترتب القوانين الأخرى العلاقات بين الأفراد . ولقد كان من نصوص هذه القوانين أنه لا يجوز لدولة ما أن تعلن الحرب على الأخرى قبل الإنذار . ولقد رأيت فى هذه الحرب كيف أن اليابان شنت الحرب شعواء على أمريكا فى الوقت الذى كان سفيرها فى البيت الأبيض يتفاوض مع المستر روزفلت ، كما رأيت كيف أن إيطاليا اجتازت الحدود الفرنسية فى تلك اللحظة التى وقعت فيها فرنسا النعسة ، فرأيت بهذا وذاك كيف أن القوانين الدولية ديست بالأقدام وكيف أن نصوصها اعتبرت قصاصات لاتساوى الورق الذى طبعت عليه ، ورأيت ما جر هذا التصرف على الإنسانية من ويلات .

أتنبق هذه الحال بعد الحرب ؟ إننا إذن لنعساء وإن الإنسانية إذن لترى فى مستقبلها شرا مما ترى فى حاضرها ، وسينبق أتون النار مشتعلا ماتمها إلى غير ميعاد .

مرة أخرى سيكون القول الفصل فى مثل هذه الأحوال لتلك المحاكم القضائية الكبرى وستوضع العقوبات الرادعة لمن يقدم على مثل هذه الجرائم الدولية . وسيكون لمساهمة مصر فى تلك المحكمة الكبرى على الصفة المتقدمة قيمته إن شاء الله .

على أن هذا النظام القضائى إنما هو خاص بالنظام الدولى . وموضوع محاضرتى الليلة لا يقتصر على هذا بل هو يشمل النظام القضائى بوجه عام . ولذلك وجب على أن أطرق فى شىء من التفصيل ما ينبغى أن يكون عليه النظام القضائى فى مصر عقب الحرب لتساهم فى التعاون العالمى المنشود .

وأرى أن الكلام في هذا الموضوع يقتضى أن نذكر كلمة عن النظام القضائى فى مصر قبل الحرب حتى ننقل بعد هذا الى ما يجب أن يدخل على هذا النظام بعد الحرب لتساهم مصر فى التعارن العالمى العام .

ولعل مصر فى نظامها القضائى الحالى سواء فى ذلك قبل معاهدة مونترو أو بعدها أو بعد إلغاء المحاكم المختلطة فى سنة ١٩٤٩ ، لعل مصر فى نظامها القضائى هذا هى الوحيدة فى العالم المتعددة الجهات القضائية المخنفة الاختصاصات سواء بالنسبة لشخصيات المتقاضين أو لموضوع النزاع أو لغير ذلك . ذلك أننا كنا نرى فى مصر حتى معاهدة مونترو — حيث كانت الامتيازات قائمة — عددا من المحاكم يساوى عدد الدول المتمتعة بالامتيازات . ومن البديهى أن كل محكمة من هذه المحاكم لاتعرف سوى قانون بلادها ولا تطبق سواد . فقد كانت المحاكم المنصليّة مختصة بالفصل فى جميع القضايا الخاصة بمنقول وجميع القضايا الخاصة بالأحوال الشخصية على تفرعها وتمدها بين رهايا الدولة التى تتبعها تلك المحكمة المنصليّة المقيمين فى مصر . وفوق هذا كله القضاء فى المسائل الجنائية من جنح وجنايات وان كان المحنى عليه فيها مصريا ، فكانت ترى فوق أرض مصر محكمة بريطانية وأخرى أمريكية ثم فرنسية فايطالية وألمانية فبلجيكية فدانمركية فهولندية الى آخر ذلك النظام العتيق الذى خلقته الامتيازات . ذلك الدمى الخبيث فى جسم القضاء المصرى والسيادة المصرية قد انتهى أمره بمعاهدة مونترو . ولكنه لم ينته تماما بل أن له بقية فى جهتين : (الأولى) المحاكم المختلطة حتى سنة ١٩٤٩ و (الثانية) المحاكم المنصليّة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

على أنه ، وقد جاء ذكر المحاكم المختلطة ، يجب على فوراً أن أتود بما كان لها منذ عهد إنشائها من الفضل الكبير فى تركيز مبادئ القانون المدنى والتجارى فى مصر ووضعها على أسس ستكون دائماً نبراساً يهتدى به المشتغلون بالقضاء والحاماة . إلا أنه لم يبق هناك محل لانتظار سنة ١٩٤٩ لإنهاء أجل المحاكم المختلطة ، فقد ثبت الآن أن كثيرين من المتقاضين الأجانب لجأوا فى قضاياهم الى المحاكم الأهلية عملاً بما لهم من الحق فى الاختيار بين القضاءين الأهلى والمختلط كما ثبت أن محاكمة الأجانب أمام المحكمة العسكرية المصرية تنفيذاً للحكم العرفى لم يلقى فى غالب الأحيان اعتراضاً مع أن بين قضاة تلك المحاكم من الضباط وهم من غير رجال القانون أغلبية فى بعض الأحوال وأولية كبرى فى البعض الآخر .

يجب فى نظرى أن تبادر الحكومة الحاضرة بما لها من قوّة يؤيدها البرلمان بمجلسيه لمفاوضة الحكومتين البريطانية والأمريكية — وعمما صاحبتا الشأن فى هذا الموضوع الآن — لقبول إلغاء المحاكم المختلطة بشقيها الجنائى والمدنى إن لم يكن فوراً فعلى الأقل عقب الحرب مباشرة .

أما القضاء القنصلى فى الأحوال الشخصية فىحنه ىندج فىا أقرح أن ىكون عله النظام إجمالاً فى مصر فى هذه الناحية .

أبها السادة :

مشكلة القضاء فى الأحوال الشخصية مشكلة مستعص حلها . لقد اتبنا أوكدنا أن نتهى من مسألة الامتيازات وما جرته على البلاد من تعدد جهات القضاء فى مصر ومن تأثر هذا على السيادة المصرية تأثيراً عظيماً جداً . ولكننا لا نزال نئن من تعدد جهات القضاء الشخصى فى مصر الآن وبعء الآن إذا بقى النظام الحالى معمولاً به فى مصر .

يقضى النظام الحالى بتقسيم القضاء فى مصر إلى قسمين كبيرين : القضاء فى الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنفقة والحضانة والنسب إلى غير ذلك مما ىتبره القانون والشرع ومعاودة موترو من صمم الأحوال الشخصية ، والقضاء العام من الحقوق والأموال والأمر الجنائية . أتعلمون ما الذى ترتب على هذا التقسيم ؟ ترتب عله أن أصبحنا وعندنا المحاكم الشرعية للأحوال الشخصية للمسلمين والمجالس المالية متعددة بتعدد المذاهب والأديان فى مصر لأصحاب تلك المذاهب والأديان ، فهناك المجلس الملى القبطى والمجلس الملى الانجلى والمجلس الملى للروم الأرثوذكس والمجلس الملى للروم الكاثوليك وغير هذه المجالس الملل الأخرى ثم الحاخامخانة لليهود ولعل لها فروعاً مختلفة لليهود القرائين وغير القرائين .

ينتج عن هذا أمور غريبة جداً فنجد القاضى الأهلى مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً يحكم فى المحاكم الأهلية فى مال المسلم والمسيحى واليهودى وفى شرفه وحرية وفى حياته فى القضايا المدنية أو الجنائية التى تعرض عله بصرف النظر عن الدين أو المذهب ، حتى إذا عرضت على تلك المحاكم قضية نفقة تطلب فىها زوجة من زوجها مائة قرش شهرياً قبل إنه لا يصلح للقضاء فىها ، بل ىجب رفعها أمام محكمة الأحوال الشخصية كما إذا عرضت عله قضية تطلب فىها الزوجة تطليقها من زوجها أو حق حضانتها لأولادها أو ما شاكل ذلك من الحقوق الشخصية قبل إن القضاء الأهلى لا يصلح لهذا بل ىجب أن ترفع الدعوى إن كان مسلماً أمام المحكمة الشرعية وإن كان مسيحياً أمام محكمة المالية — على تعدد هذه المحاكم كما تقدم — أو أمام الحاخامخانة إن كان يهودياً .

هذا غير مفهوم فى عصرنا الحاضر فلو أضفت على هذا ما يقوم من الاشكالات عند تعدد المذاهب أو الأديان بين المتقاضين فى قضية واحدة لوجدتم العجب ، فبطرس القبطى الأرثوذكسى تزوج من امرأة انجلىة أو كاثوليكىة ثم وقع النزاع بينهما فهل ىكون ذلك النزاع من اختصاص المجلس الملى القبطى أو المجلس الملى الانجلى أو المجلس الملى الكاثوليكى ؟

وإذا تزوج رجل قبلي بامرأة قبطية ثم اعتنق أحد الزوجين الإسلام بعد ذلك فلائحة محكمة يكون الاختصاص ولأى قضاء يرفع الأمر ؟

كل هذه الاشكالات ومثلها تكرر وقوعها في قضائنا المصري فاضطرت وزارة العدل الى إنشاء لجنة خاصة في الوزارة اسمها " لجنة تنازع الاختصاص " مأموريتها حل هذه المشاكل ولكنها مع الأسف الشديد لم توفق الى حل في الكثير منها .

وأرجوان تسمحوا لي بأن أضرب مثلاً واحداً مما وقع لي في حياتي القضائية لعله أغرب مثل في نوعه . كان يوجد رجل قبلي في إحدى المدن القريبة من أسبوط . تزوج بابنة عمه ورزق منها ولداً . ثم أراد أن يطمئنها فلم يوفق فاعلن اسلامه وطلبها ثم تزوج بمسلمة وانجب منها ولداً وبناتاً وبعد ذلك ارتد الى دينه الأصلي واستعاد زوجته الأولى وانجب منها ولداً ثم توفي وحصل النزاع بعد ذلك على تركته فلبجاً الأولاد الأقباط الى المجلس الملي الذي حكم حكماً نهائياً بانحصار إرثه فهم دون اخوتهم المسلمين وبني حكمه على أساس صحيح هو أن اختلاف الدين بين الورثة والمورث مانع من موانع الارث ولجأ الأولاد المسلمون بدورهم الى المحكمة الشرعية وهذه قضت بحكم أساسه أن تنقسم تركة المتوفى ثلاثة أقسام : ما كسبه في حالة نصرانيته الأولى وما كسبه في حالة اسلامه وما كسبه في حالة نصرانيته الثانية أو رده ، فالقسمان الأول والثاني يقسمان بين أولاده المسلمين فقط بناء على نفس السبب الذي ارتكن عليه المجلس الملي من أن اختلاف الدين مانع من موانع الارث ، أما ما كسبه في حالة نصرانيته الثانية أو رده فيكون ملكاً لبيت المال على أساس أن الشرع يقضي بإعدام المرندرجها وأنه إذا كانت الشرائع المدنية الحديثة لا تميز هذا فان المشرع يعتبره في حكم الميت منذ تاريخ ارتداده ، وعلى ذلك يكون ما كسبه منذ ذلك التاريخ مالا غير مملوك لأحد وبالتالي مملوكاً لبيت المال . هذا الحكم أيضاً صحيح من الوجهة الشرعية الاسلامية وبذلك وجد الورثة أنفسهم أمام حكمين نهائيين متناقضين صادريين من جهتين كل منهما لها الاختصاص القانوني لإصداره ، فماذا يكون العمل ؟ اشكال ليس من السهل حله . لجأ لي فريق من هؤلاء الورثة لنصرتهم على الفريق الآخر فأريت أن العدل المطلق يقضي أن جميع أولاد الرجل يقتسمون تركته بالتساوي فيما بينهم بصرف النظر عن اختلاف الدين وأقنعت برأي هذا جهات الاختصاص الإدري العليا وأحضرنا الخصوم جميعهم وعقدنا بينهم صلحاً على هذا الأساس وانتهى النزاع .

أساس هذه المشاكل وغيرها هو كما قدمت تعدد الاختصاص وتعدد الشرائع ولو أن الشرائع توحدت وتوحد الاختصاص كذلك لقضى على كثير من هذه المشاكل المستعصية واوصلنا بمصر في نظامها القضائي الى ما وصلت اليه الأمم التي سبقتنا في هذا المضمار وتوحدت

النظم كلها في العالم على أساس واحد هو توحيد النظام القضائي في كل دولة. وستجدون بعد قليل في القسم الثاني من هذه المحاضرة أنني أرجو أن تعدل مبادئ القانون الدولي الخاص بما يؤدي إلى اعتبار قضاء كل دولة نافذا أمام جميع الدول على السواء وبذلك نكون وصلنا إلى أرقى ما يمكن أن يفكر فيه من يهتم بالنظام القضائي بوجه عام .

على أنني قبل أن أطرق هذا القسم من محاضرتي أرى لزاماً على أن أبين النظام الحالي فيما يتعلق بهذه النقطة حتى يمكننا أن نتفهم ما نريد أن ندخله عليها من التعديل .

قد يصدر حكم في مصر من محكمة مصرية على شخص مقيم في إنجلترا أو فرنسا أو أمريكا وليس للمحكوم عليه أملاك في مصر يمكن التنفيذ عليها مما يتبع حتماً أن يقع التنفيذ على ما لذلك المحكوم عليه من أملاك في الدولة الأجنبية فكيف يحصل ذلك وما قيمة الحكم الصادر في مصر أمام القوة التنفيذية في الدولة الأجنبية لتقوم بتنفيذه ، هذا هو المشكل . ويختلف حله باختلاف الدول وعلاقتها مع بعضها البعض . فان بعض الدول يقضى أنه إذا عرض حكم صادر من محكمة أجنبية لتنفيذه في بلد أخرى وجب إعادة نظر الدعوى كلها من جديد أمام محكمة الدولة المطلوب التنفيذ فيها . وبعبارة أخرى لا يكون للحكم الأجنبي أية قيمة في نظر الدولة المطلوب التنفيذ فيها كما أن بعض الدول يكتفى بالتعرض لصحة الإجراءات التي حصلت أمام محاكم الدولة التي أصدرت الحكم دون التعرض لموضوع النزاع فان وجد أن الإجراءات كانت صحيحة نفذت الدولة الحكم . وفريق آخر رأى عقد اتفاق بينه وبين بعض الدول على أن أحكام الواحدة تكون نافذة عند الأخرى بمجرد تقديمها لتوضع عليها الصيغة التنفيذية للدولة المطلوب التنفيذ في أراضيها .

كل هذه الأوضاع والمبادئ يجب أن تغير بعد الحرب . إن أئمن ما تحارب الأمم في سبيله الآن إنما هو الوصول إلى أرقى ما يمكن البشر الوصول إليه من حقوق المساواة بين الناس أفراداً وشعوباً وحكومات . بل يمكن القول إن ما ترمي إليه الديمقراطيات في هذه الحرب إنما هو ما تمخضت عنه الثورة الفرنسية الكبرى مع الفارق . إن الثورة الفرنسية قررت الحرية والمساواة والإخاء بين الفرنسيين وإن كانت هذه المبادئ السامية قد اقتبسها بعد ذلك كثير من الدول إلا أن هناك دولاً لا تتبعها ، كما أن جميع الدول في علاقاتها مع بعضها البعض لا تنفذ هذه المبادئ وإن كانت تنفذها داخل حدودها بالنسبة للأفراد .

لهذا نطمح في أن تتم هذه المبادئ بعد الحرب علاقة الدول بعضها مع بعض فيما يتعلق بالقانون الدولي الخاص وينتج عن هذا أن يكون لقضاء كل دولة من الاحترام لدى العالم أجمع ما لذلك القضاء لدى تلك الدول بالذات بحيث إذا صدر حكم ما صحيحاً في إجراءاته في مصر وجب أن يعتبر صحيحاً في أية دولة يطلب فيها تنفيذه والعكس بالعكس .

عندئذ يشعر الناس بأنهم أخوة متضامنون في عائلة كبرى واحدة هي عائلة الانسانية  
أجمع متساوون في حقوقهم وواجباتهم بأوسع معاني المساواة .

وينتج عن هذا حتما ما أشرت اليه في هذه المحاضرة أثناء الكلام على الحاكم القنصلية  
في مصر بما يتعلق باختصاصها في مسائل الأحوال الشخصية فإن هذا الاختصاص يعنى  
بطبيعة الحال وتكون المحاكم المصرية المختصة في محاكمة الأجانب فيما يتعلق بأموالهم وأعراضهم  
أوحريتهم وحياتهم هي أيضا المختصة بالقضاء في أحوالهم الشخصية .

ينتج من كل ما تقدم أن يكون هناك نوعان من القضاء في العالم لا ثالث لهما: القضاء  
بين الأفراد تنتشر هيئاته في جميع الدول لكل منها من القوة ما لميلاتها في أية دولة أخرى  
وتكون أحكامها واجبة التنفيذ في العالم كله ما دامت قد صدرت صحيحة الإجراءات في المحكمة  
التي أصدرتها. والقضاء بين الدول في تلك المحكمة الدولية الكبرى تصدر حكمها في كل اعتداء  
يقع من دولة على أخرى ويكون حكمها واجب التنفيذ بما يقوم وراءه من تلك القوة  
التنفيذية العامة .

سيداتي سادتي :

لقد مرت على الانسانية في العصور المختلفة كوارث وويلات جرتها عليها المطامع الفردية  
تارة والجنسية تارة أخرى والدينية تارة ثالثة ولكنها لم تمر عليها في جميع تاريخها كارثة كالتى  
تمر فيها الآن بذات فيها — ولا تزال تبذل — طوفانا جارفا من الآلام والتضحيات والدماء  
والدموع بل هي بذلت فيها أضعاف ما بذلت مجتمعا في القرون التي خلت . فهل قدر لها  
أن تصل الى هدفها الأسمى بحيث يكون النظام الجديد الذى تنشده والذى يسعى زعماء العالم  
الآن للوصول اليه محققا مبادئ المساواة والحرية والاخاء للشعوب فيتحرر الجميع من قيود  
الخوف والفاقة ويتعاونون تعاونا خاصا لوجه الله يسعد به الناس في مختلف أنحاء العالم فتم  
كلمة الروح "وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" .

عندئذ يكفل إيمان الناس جميعا بأن يجب كل إنسان لأخيه ما يحبه لنفسه ويضع كل  
منهم يده في يد أخيه للعمل على ترقية شؤون الجميع اقتصاديا واجتماعيا وصحيا فيصبح لكل وجهة  
واحدة هي وجهة الخير ابتغاء وجه الله فتترعرع راية السلام والنظام نينة على العالم لأمد طويل  
ونصبح في جنة تترب كثيرا مما وعد الله عباده المتقين

## كيف ينبغي أن تكون الأخلاق لتحقيق تعاون عالمي

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا

التعاون العام بين أمم العالم موجود على وجه متقطع وكيفما اتفق أن يكون ليس خاضعا لنظام معين . غير أن هذا ليس هو التعاون الذي يقصد إليه ميثاق الأطلنطي . بل التعاون المقصود بهذا الميثاق هو التعاون المستمر الذي يمنع الاعتداء ويؤدي إلى السلام الدائم .

بادئ بدء لا ينبغي أن نمدح أنفسنا فيما يعترض هذا التعاون من صعوبات أعسرها تذليلا هو الإيمان به . فإذا نحن تشبثنا بسنن الماضي وما ألقناه فيه من أخلاق الناس على العموم وأخلاق قادة الشعوب على الخصوص . وما سجل التاريخ من ألاعب السياسة وغدورها وقدرنا قوة أنصار الحرب والعاملين عليها والمتفهمين من ورائها وبأسنا من أن نقطع الصلة بين ماضي الإنسانية وبين مستقبلها في هذا الصدد فما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه التعاون الذي ندعو إليه بنظام جمعية الأمم الماضية . ولا يرى أنصار الاعتداء في كل هذه الجلبة إلا أنها صلف تحت الرعدة .

أما إذا رجونا الخير وقدرنا ما نحن فيه اليوم من الضرورات الاجتماعية والحرج السياسي وقدرنا أن العالم أصبح لا يطبق بعد الآن حروبا على غرار الحروب الحاضرة . وقدرنا حق قدره الارتقاء الاجتماعي في العالم ثم قدرنا أن هذا التعاون المرجو لم يأت طفرة بل هو فكرة اختيرت في ضمير العالم وتداولتها بالبحث والتجربة عدة أجيال ، وقدرنا أن التجربة القاسية للأخطاء الماضية منفع العالم في تسديد خطاه إلى الخير . متى قدرنا كل ذلك وجب أن نتقبل مشروع التعاون المانع من الاعتداء والمفضي إلى السلام الدائم بغاية الارتياح وأمانا به وعملا على تحقيق وسائله . فلقد آن لضمير العالم أن ينتبه ويجعل الإخاء الانساني حقيقة واقعة بعد أن لم يكن إلى الآن إلا لفظا ليس له ما يدل عليه .

الواقع من أمر الناس في الأمم المختلفة وفي المدنيات المتعاقبة أنهم بوازع من قانون الأخلاق الذي نشأ بنشوء الدولة و بوازع من سلطان البوليس والقضاء قد اعتادوا أن يتعاونوا في معيشتهم المدنية بالحسن وتركوا عاداتهم الأثرى في العدوان والجرى على أحكام "حق الأقوى" التي ألفوها أزمانا طويلا فيما قبل المدنيات المنظمة . هذا هو حال أفراد الناس الآن في الأمم المتقدمة منازلهم يفصل فيها القضاء وينزع سلطان البوليس بعضهم عن الاعتداء على بعض . وأصبحوا يرون جريمة داعية إلى الاحتقار ومستحقة للعقاب ما كانوا في حال البداوة يتمدحون به ويجعلونه مناطا للعزة ومجلبة للشرف والفخر .

إذا ليس الظلم والعنف في الناس أمرا طبيعيا لامناص منه كما قد يظن إنما كان ذلك فيهم قبل نظام الدول عادة اعتادوها آلافا لا تحصى من السنين . كان الأفراد في كل لحظة محلا لافتراس السباع اقتضاهم ذلك أن تكون حياتهم في حرب متصلة ودفاع مستمر فلما اطمأنوا من هذه الناحية استمرت عادة الهجوم والدفاع في أنفسهم غير أنها تحولت إلى أن تكون حربا بينهم حتى قضت عليها المدنية المنظمة بالبوليس والقضاء .

تلك حال الأفراد وأما حال الأمم أو بالأولى حال الحكومات فلم تجد كما وجد الأفراد تحت ضغط الضرورات الاجتماعية قانونا للأخلاق ولا محاكم تفض النزاع بينها ولا بوليسا يمنع الحكومات من اعتداء بعضها على بعض . بقي فيها روح الفرد الأولى روح القبيلة روح الاعتداء على الغير استعلاء عليه واستعبادا له وطمعا في أرضه ومرافقه . وبالجملة بقيت كل حكومة حتى في هذه المدنية الحاضرة تنضم أن تتزعزع بالقوة من أمة أخرى مالها من المرافق من غير وازع ولا حياء . وإذا فقدت ظفرنا من المدينيات القديمة بأدب الأفراد ولم نظفر بأدب الحكوماتها يمنعها من الاعتداء والطفان .

ومن العجب أن الفلسفة اليونانية مع أنها استوعبت بحسب الأشياء الإنسانية لم تتعرض ولا عن طريق التخيل إلى إمكان القضاء على الحرب بين الأمم . ولم تفكر في تحقيق الإخاء الإنساني العام ولا في السلام الدائم . بل لعلها شجعت الحرب تارة وقست في نتائجها تارة أخرى . كذلك الفلسفة الرومانية والفلسفة العربية لم يكن فيهما نظرة في ذلك الإخاء بين الأمم المختلفة كما نظرت كلتاها في الإخاء بين أفراد الأمة الواحدة إلا ماسموه "السلام الروماني" ومن الخير ألا تتعرض لذكره لأنه لا يفيد شيئا في موضوع التعاون العالمي المنشود .

فأما أن الحرب من طبع الإنسان فتلك فكرة ارتفعها كتاب وفلاسفة مما هو الواقع . ومن طريف ما يؤثر عن أنصار الحرب ما نقله أميل فاجي عن أحد التيازفة أو الصوفية القائلين بوحدة الوجود قال "الحرب إلهية في ذاتها لأنها قانون العالم" . "الحرب إلهية في المجد الخفي الذي يحيط بها وفي الجاذبية الخفية التي تجذبه اليها" . "الحرب إلهية في الحماية الموهوبة للقواد العظام" . إلى أن قال "الحرب إلهية بنتائجها التي تعرب عن تقديرات الناس" قال أميل فاجي كل هذه الجمل تساوى أنه يقول "الحرب إلهية لأنها مخيفة" .

وبالجملة فإن أهم دليل على طبيعتها هو قدمها والقدم من حيث هو لا يصحح فاسدا ولا يفسد صحيحا . والذي يراه أنتصار السلام هو أن الحرب ليست من طبع الإنسان كالعائلة والأبوة والعمل بل هي عادة تأصلت في نفوس الناس يمكن القضاء عليها كما قضى على الرق ونحوه بوسائل التربية التي لا شك في أن العالم يتقدم في أمرها بنسبة تنبيه ضميره على أثر تفكير المفكرين فيما يصلح حال الإنسان .

إذا كان لابد من ثورة على القديم في هذه الناحية أيضا. وقد كانت هذه الثورة بأول خاطر في موضوع السلام الدائم خطر اسوللى وزير هنرى الرابع. ولكن سلامه الدائم لو أنه تحقق لما شمل إلا أوروبا فقط. وكذلك كانت مشروع الأب سان بير في أوائل القرن الثامن عشر. ولم تكن تلك إلا بوادر لم تفد شيئا؛ حتى كان آخر القرن الثامن عشر إذا انبعث صوت الاخاء الانساني من جامه كونيغسبرج حين اقترح أستاذ الفلسفة فيها ايمانويل كنت انشاء حكومة أم تمنع اعتداء بعضها على بعض وجه نداء للامم والملوك قال فيه "ينبغي أن تنظم الأمم سلوكها في كل دولة على قواعد الأخلاق والقانون كما يجب على الدول أن ترعى هذه القواعد في علاقاتها المتبادلة مهما يكن من تمويه الاعتراضات التي تستتجها السياسة من التجربة. وحينئذ لا تستطيع السياسة المحقة أن تخطو خطوة من غير أن تتبع فيها أوامر علم الأخلاق. فان السياسة متى اتحدت بعلم الأخلاق لم تعد بعد ذلك فنا صعبا ولا معقدا. ان الأدب يفك العقدة التي لا تستطع السياسة حلها. يجب اعتبار حقوق الانسان مقدسة ولو ضحى في ذلك الملوك بأكثر الضحايا. لا يمكن في هذا الصدد التنازع بين الحق وبين المنفعة. وان السياسة يجب أن ترعح امام الأدب.

لكن هل استمع لهذا النداء الكريم الملوك والحكومات؟ نعم أظن أن حكومات الأمم الكبرى التي اجتمعت في مؤتمر فينا بعد هذا النداء بتسعة عشر عاما قد استمعت لهذا النداء لكن لا تعمل به حقيقة بل لتخدع به الرأي العام للشعوب الوادعة الطيبة التي قلما تختمل نصيبا من جرم حكوماتها. وهاكم مذكرة الوزير جتزميل مترنيخ رئيس المؤتمر المؤرخة في ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٥

ان أولئك الذين اجتمعوا في المؤتمر وكانوا يعلمون حق العلم طبيعته واغراضه لا يكادون يتخذون على تطوره أيا كان رأيهم في نتائجه. إن الكلمات الفخمة مثل إعادة النظام الاجتماعي و"تجديد المذهب السياسي لأوروبا" و"والسلام الدائم المؤسس على توزيع عادل للسلطان" الخ الخ انما تنطق بها لتطمئن الناس ولتفرض على هذا الاجتماع الحافل كرامة وعظمة. لكن الغرض الحقيقي للمؤتمر قد كان توزيع أسلاب المقيهورين بين القاهرين.

هذا نموذج من أدب السياسة الدولية يتخذة الساسة لمجدهم ومجد ملوكهم وليلتوا به دروسا في الشره والظلم على الناس أجمعين، أفكان الذين اجتمعوا حول مائدة الصالح في فرساي أصلح منه وأصدق قولاً من زملائهم في فينا من قبلهم بقرن كامل لقد كان كتاب التاريخ السياسي يظنون أن مؤتمر فينا قد أخفق في مهمته مع أنه وفي العالم شر الحروب ٣٩ سنة فهل كان مؤتمر فرساي أسعد حظا وأجدى على الانسانية ندما مع أن سلامه لم يزد عمره على عشرين عاما حتى أمكن لأحد الساسة في الخريف الماضي أن يجمع بين الحربين ويسميهما حرب الثلاثين من سنة ١٤ إلى سنة ٤٤ وإذا لم يتغير الأدب السياسي عما كان في القرن الماضي. قال الكاتب المعروف الدس هكسلي عشية هذه الحرب الحاضرة "إن أدب

السياسة الدولية هو أدب القرصان أدب الخداع ، أدب الشيخ الفيوكنت الفاسق “ بل لم يتغير هذا الأدب منذ عشرين قرنا حين قال الفيلسوف ”هذا هو قانون الانسانية كل ما هو محرم عليك اتيانه وأنت فرد مطلوب منك اتيانه وأنت مدافع عن الدولة “ .

ترون من ذلك أن للأفراد أدبا جاءت به قوانين الاجتماع داخل كل بلد . فأين أدب السياسة والسياسيين وإلى أي شيء مرده ؟ إلى محكمة الضمير وقد جرى العرف على أن السياسة لا ضمير لها أم إلى محكمة القانون العام وليس للسياسة الدولية محكمة إلا الحرب ؟ قال برتلمى سانتهير لمناسبة زاء ” كنت “ :

” لقد أعلن ” كنت “ هذه المبادئ القومية منذ ستين عاما ولكننا على رغم ما نطعت الأفكار العامة من مراحل التقدم في هذه المدة ما أبعدنا إلى الآن عن الغرض الذي ترمي اليه حكمة الفيلسوف والظاهر أن الملوك والأمم لم تتاق بعد دروسا قاسية . .

نظن الآن أن العالم قد تلقى هذه الدروس القاسية منذ الحرب الماضية فشرع فعلا في إنشاء جمعية الأمم لكنها كما قد رأيتم لم تتجح لأنه عند تنفيذها كان الساسة قد نسوا ويلاط الحرب ورجعوا إلى أخلاق السياسة الدولية فلم تتجح تجربتهم وجاءت الحرب الحاضرة بويلاتها التي لا تتطاق . تلقاء هذه التجربة القاسية صدر ميثاق الأطلنطي في أغسطس سنة ١٩٤١ وبه حق لأنصار السلام أن يشعروا بأن السياسة الدولية صادقة هذه المرة ولا تنوى أن تستمر على تلك الخطة التي ذكرناها . وكفيلنا بذلك الضرورة العالمية وكفى بالضرورة كفيلا .

ينبغي أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطي كما يرحب بالوسيلة الوحيدة لتفيذه وهي استثمار الديمقراطيات على الدكتاتوريات . ونحن من جهتنا نرجو ذلك الظفر ونرحب به أكثر من غيرنا لا لأننا أصدقاء الانجليز وحلفاؤهم فحسب ولا لأننا نرجو خيرا كثيرا من تدخل أميركا في السياسة العالمية لنصرة الشعوب الصغيرة فحسب بل لأن هاتين الديمقراطيتين العظيمتين هما الكفيلتان ببناء أجل نعمة نعم بها العالم في هذه المدنية الحديثة وهي الحرية الشخصية .

ينبغي أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطي باعتباره خطوة الى الأمام في طريق السلام الاجتماعي والتعاون العالمي . أو بنص عبارة الميثاق نفسه ”ايصال العالم الى مستقبل أفضل“ هذا الغرض ان لم يف بكل ما يطلبه أنصار السلام فلا ريب في أنه خطوة حاسمة في سبيله وذريعة عملية لتقليل الحروب وإطالة مدة السلام التي تفصل بينها .

والظاهر أن الأداة التي تنفذ ميثاق الاطلنطي هي التي ذكرها المستر إيدن بالإجمال في خطابه : ” إن النظام الدولي يجب أن يكون ممثلا تمثيلا تاما ، لا كما كان عليه الحال في عصبة الأمم السابقة وأن يكون هناك تصميم وعزم لاتخاذ قرارات إيجابية وأن توجد قوة لتنفيذ تلك القرارات .

وهنا يتساءل أنصار السلام هل إنشاء عصبة أم جديدة خير من عصبة الأمم القديمة يمكن أن يوصل إلى الغاية النبيلة التي أشار إليها المستر ليندن بقوله "إن غايتنا هي إنشاء نظام عالمي يحقق التقدم السلمى لجميع الشعوب".

العقل والتجربة متفقان على أن نظام عصبة الأمم التي لها قوة مسلحة لتنفيذ قراراتها ليس خيراً أداة للسلام الدائم وبالتبع للتعاون العالمى لأن هذه الأداة متى كمل نظامها كانت كما يقول المستر الدس هكسلى كأنها عصبة مؤلفة للحرب لا للسلام .

والواقع أن العنف يولد العنف ، ومع ذلك ليس أمام العاملين من أنصار السلام وسيلة سواها في الحال الراهنة .

غير أن هذه الوسيلة لا توصل إلى الغاية إلا إذا اقترن بها إبطال الاستعمار بجميع أسمائه وألوانه ، على هذا الوضع يمكن القضاء على التنافس الحاد بين الأمم الكبرى ، وعلى هذا الوضع فقط يمكن أن تستل من نفوس الأمم الصغيرة تلك الأحقاد التي ولدها استعلاء قوم على قوم ، وذلك هو أفسد ما يكون للأخلاق التي ينبغى أن تتخلق بها الأمم لتحقيق تعاون عالمي ، وفي هذه الحالة الشعوب التي لا تستطيع أن تقوم بنفسها لا تتبع دولة بعينها باسم الانتداب أو باسم الحماية ، بل دولة إدارة النظام العالمى الذى أشار إليه وزير الخارجية البريطانية ، تأخذ هذه الإدارة بيدها حتى تستكمل مشيخات الأمة التي تستطيع أن تكون عضوا مستقلا نافعا في التعاون العالمى .

مادام غرض التعاون العالمى هو القضاء على نظرية حق الأقوى مع فسادها في نظر المنطق القانونى وما دام الاستعمار هو أظهر آثار حق الأقوى فلا بد للتعاون العالمى من القضاء عليه بجميع أسمائه .

كما أن الفلسفات القديمة لم تتعرض لفكرة السلام الدائم كما ذكرت آنفا كذلك هي لم تتعرض لاستنكار الاستعمار . وأول من تعرض لها من الفلاسفة على وجه بين هو الفيلسوف بنام فانه هو وأنصار مذهبه يفضون الاستعمار ويرونه غير نافع للأمم المستعمرة فوق أنه مفسد لأخلاق الأمم المستعمرة . قال برتران رسل "إذ كانت الثورة الفرنسية في الصميم من أمرها" كتب بنام رسالة الى تاليران عنوانها "حرروا مستعمراتكم" ولم يكن رأيه في المستعمرات الفرنسية محسب بل رأيه كذلك في المستعمرات البريطانية ... ولكنه حمل صديقه اللورد لندون على اعتناق مذهبه فقال في مجلس اللوردات في سنة ١٧٩٧ "لا يمكن أن يسدى الى اسبانيا خير أفضل من تخليصها من لعنة مستعمراتها".

وأخيرا في عهد جمعية الامم السابقة عرض على الامم المستعمرة في فرص عدة أن تنزل عن مستعمراتها لتضعها تحت السيادة الدولية فرفضت بلا استثناء غير أنه مادام على ظهرها أم غالبية وأم مغلوبة فلا رجاء في التعاون باخلاص وكأني بالامم المغلوبة على أمرها تقول

للقاهرين دعاة السلام — انظرونا نتخلل من ذل التبعية ثم شانكم والسلام الدائم قررورا فيه ما تشاءون .

بقى أن نشير الى أن بعض الكتاب السياسيين يرون أن الاستعمار والوطنية أمران متلازمان وأن من العسير أن يعجب قوم وطنهم دون أن يفتن هذا الحب بالاستعلاء على الأمم الضعيفة أو دون أن يبغضوا غيرهم . هذا قد يكون حقا في أمر الوطنية الحادة الجالحة التي هي من سلالة عصبية القبيلة . أما الوطنية المدنية أو وطنية المستقبل التي يسيطر عليها التدبر العقلي فانها لا تتأني مع حب الأنسانية جمعاء . والواقع أننا نرى الرجل الفاضل مع حبه لنفسه يسعى الى سعادة غيره فلا مانع اذا يمنح قوما يحبون وطنهم من أن يسعوا في اسعاد الأوطان الأخرى .

نسوق كل هذه المقدمات للوصول إلى نتيجتين . الأولى أن التعاون العالمي ممكن متى اقترن به إلغاء الاستعمار على الوجه الذي ذكرناه . والثانية : أن أدب السياسة الدولية الذي جرى عليه العرف إلى الآن بعيد عليه أن يحقق التعاون العالمي بل لابد لهذا التعاون من أدب دولي جديد ونظرا إلى أن أسباب الحروب مهما اختلفت مردها إلى الحالة السيكولوجية للأمم وعلى الخصوص الحالة الأخلاقية لقادة الأمم ، نظرا إلى ذلك قد بحث أنصار السلام في الوسائل التي تؤدي إلى منع الاعتداء من جانب أمة على أخرى وإن أوفى بحث أعرفه في هذا الصدد تلك المحاولة الجريئة الموفقة التي حاولها الكاتب المعروف الدس اكسلي في كتابه " الغاية والوسائل " لم يقنع هكسلي بطريقة " كنت " التي لا يزال الساسة يسيرون عليها سواء اكان ذلك في جمعية الأمم السابقة أم في النظام العالمي المستقبل بل هو يرمى إلى أعمق من ذلك أثرا وأبقى على الزمان بقاء ، وهو أن يسعى الأفراد والجماعات والحكومات إلى تربية الجليل على صورة تتدرج نتائجها للوصول إلى الإنسان المثالي ، جعل هكسلي المثل الأعلى في ذلك الإنسان الذي سماه " الإنسان اللامرتبط " غير المرتبط باحاساساته ورغباته الجسمية ، غير المرتبط بشهوته في السلطة والحيازات المختلفة ، غير مرتبط بموضوعات هذه الرغبات المختلفة غير مرتبط بغضبه بحياته الخاصة ، غير مرتبط بالثروة ولا بالمجد ولا بالوضع الاجتماعي ، غير مرتبط حتى بالعلم والفن و بالتأمل المجرد وبحب الإنسانية . بذلك يصل المرء إلى حيازة جميع الفضائل ، وإن عالما مؤلفا كله أو جله أو على الأقل قادته من أفراد لهم هذه الفضائل يجدير بأن يسمى العالم الكامل ، غير أن هكسلي لم يندع نفسه على إمكان الوصول إلى تلك الوسائل التي تربط نظريات السياسة الداخلية والسياسة الدولية والحرب والاقتصاد والتربية والدين والأدب ، كل أولئك بنظرية الطبيعة الآخرة للحقيقة ، بل قال في آخر كتابه " لا شك في أن هذه المهمة قد نفذت على وجه ناقص ، على أنني لا أعتذر عن محاولتي إياها فان رسم مذهب رسما ولو جزئيا خير من العدم الكلي " .

ونحن من جانبنا نترك إلى الزمان الطويل تحقيق الرغبات الشريفة لهذا المؤلف .  
وتقبل على مذهب أقرب تناولاً ، ونقع بالهدف الحاضر وهو التعاون العالمي الذي ارتقىته  
السياسة الدولية للأمم المتحدة فإذا ينبغي أن تكون الأخلاق لتحقيق هذا التعاون .  
إذا كان هكذا يعتد هكذا بسمو النفس الانسانية في طبيعتها إلى حد أنه يرى من  
الممكن أن تتحقق نظرياته فليس في ذلك إلا قريباً جداً من رأى الفيلسوف " كنت " في سمو  
الطبيعة الانسانية حين يقول " ليس في الاستعدادات الطبيعية للانسان شيء من مبدأ للشر  
وأن السبب الوحيد للشر هو ألا يرد الطبع إلى قواعد ، ألا إن الانسان ليس فيه من أصل  
إلا للخير ، ليس لهذا المعنى فقط أرى أن أختار منهاج " كنت " مرجعاً لصورة هذا البحث  
الذي أبحثه ، بل لأنه مع ذلك صاحب فكرة الحكومة الدولية العامة ، وبهذه المنابة فديكون  
منهاج الأخلاق أقرب المناهج نسباً للتعاون العالمي ، وقد يكون فوق ذلك هو المناسب  
لاعتقادات الناس في هذا الزمان .

لتحقيق التعاون العالمي ينبغي أن تقوم كل أمة بواجباتها نحو ذاتها وواجباتها نحو الأمم الأخرى .  
فأما فضائلها الذاتية أو واجباتها نحو ذاتها ، فالقيام بها أظهر ما يكون في التربية  
وفي صور الحكم .

أما التربية فإنها في كل العصور وسيلة لتحقيق غاية معينة ، فترون الدكاتورات تفتئ  
أجيالاً تنشئة اسبرتية محضه ، لأن غايتها استكمال ما تستطيع من قوة لتبسط سلطاتها على العالم  
كله أو بعضها ، فتجرد أبناءها من حرية التفكير الشخصي وحرية النقد وحرية الاجتاج  
لتبادل الآراء وتبنى في أنفسهم مبادئ التومية الحادة والاستهانة بحقوق الغير والطاعة العمياء ،  
وبالجملة تكون غاية التربية غاية حربية صرفة ، أو بعبارة أدق غاية الاعتداء على الأغيار وما  
في أيديهم ، وليست الديمقراطية مع الأسف بأحسن حالاً من ذلك إلا قليلاً ، فإن التربية  
فيها مع ماها من الحريات الفردية موجهة إلى الحرب أيضاً ، وفي مثلها العليا نماذج من  
أبطال الحروب الأولين والآخريين ، فمناطق المثل الأعلى في التربية الحاضرة بطل قتل في ساحة  
الحرب من إخوانه في الانسانية أكبر عدد ممكن ، لاشك في أن هذه التربية لا يمكن أن  
تكون غايتها التعاون العام أو السلام الدائم ، بل لابد للعالم وقد اعترم التعاون العام أن يغير  
غاية التربية فيستن نوعاً من التربية يؤدي إلى حب السلام لا إلى حب الحرب ، يؤدي إلى  
تحقيق الإخاء الانساني ، يؤدي إلى ترك المبالغة في الاعتزاز بالأجناس وترتيبها ترتيباً تحكيمياً  
عسى أن يكون الجنس الأخير منها خيراً من الجنس الأول المزعوم ، وبالجملة ينبغي أن تترك  
إلى جانب عصبية الانسان الأولى للقبيلة ولعودها المحلي الذي صنعه الانسان بيده إلى  
ما يقتضيه الإخاء الانساني والتعاون العالمي من احترام لجميع الأجناس وسعى في إسعاد من قضت  
عليه المصادقات الشقية بأن يكون في سلم المدنية متأخراً عن سواه .

على هذا ، يجب على الأمة في تربية أبنائها ، أن تكون غايتها الإنسان المثقف ووسيلتها إلى ذلك :

١ - تثقيف ملكات الفرد الطبيعية . ملكات الجسم والعقل والنفس بأن يقوم بمقتضيات حفظ الذات وحفظ النوع بالاعتدال التام ثم بواجب الصدق الذي يسبب له الاقتناع بكرامته وواجب السخاء الشخصي بأن لا يقتر ولا يسرف بل ينفق بالمعروف وواجب كرامته من حيث هو إنسان فيرفض أن يكون تبعا لغيره في غير الحدود المفروض عليه من جهة كونه عضوا في جمعية مدنية لما قوازين مرعية الأداء . وواجب محاسبة نفسه على كل ما يخطر له من فكر أو لفظ من قول أو يأتي من عمل وضابط ذلك كلمة أفلاطون المعروفة " تعرف نفسك بنفسك " أي تعرفها بالدرس الدائم لخالها وسرغورها في أعماق طبيعتها . ثم ينبغى أن يؤخذ الناشئ بتثقيف ملكات عقله بأن يتعلم ما هو ميسر له من العلوم والفنون . قال كنت " من ليس مثقفا فهو بهيمة ومن ليس مؤدبا فهو متوحش " .

• كذلك ينبغى أن تؤخذ الأفراد في التربية بتعلم القيام بواجباتهم نحو الغير مثل حب الانسانية ويعنى به العدل ورعاية الغير وعرفان الجليل والسخاء والمواساة في الضراء واحترام الأعيان في أشغاصهم وشرفهم وأموالهم واحترام قوانين البلاد سرا وعلانية .

وينبغى في تثقيف هذه الثلاثة الأنواع من الملكات الطبيعية أن يكون ذلك على يد أساتذة أحرار في مدارس حرة ليست تابعة مباشرة لسياسة الحكم كلما أمكن ذلك .

وأما واجبات الأمة من حيث صورة الحكم لتكامل ذاتها فينبغى أن تكون الأمة دائما مظهر السلطات في وطنها وأن يشمل أفرادها في حكمها على الطرق الديمقراطية وأن يكون الحكم فيها لمنفعة المحكومين لا لمنفعة الحكام . وأن تكون ولاية الحكم ضرائب يؤديها الأكفاء من أبنائها لا مزايانا يختص بها المقربون من السلطات ويتفرع على ذلك أن طالب التولية لا يولى .

هذا ما ينبغى من فضائل الأمة أو واجباتها نحو ذاتها .

وأما واجبات الأمم بعضها نحو بعض فأول ما ينبغى هو إبطال هذا المذهب العتيق للسياسة الدولية . مذهب الارتباب والذسأس والتجسس وأن يستبدل به تقيضه بأن تحمل محل هذا المذهب الواجبات الأدبية التي يفرضها قانون الأخلاق على الفرد نحو غيره وهي تتلخص في احترام حقوق الغير والسعى في إسماعه .

على هذا النحو وعلى هذا النحو وحده يتحقق التعاون العالمي وتشمل نعمة السلام كل بني الإنسان .

أحمد لطفى السيد

## العلاقات الدينية بين الأمم لتحقيق تعاون عالمي

بقلم الدكتور منصور فهمي بك

المدير العام لدار الكتب المصرية

لست أعلم من نفسي أتي ممن تفقهوا في أصول الديانات وتوارىخها ، ولست ممن نالوا في ذلك إجازات وشهادات . على أتي وإن كنت من غير المتخصصين في دراسة الديانات ونظرياتها فهأنذا أشهد آثارها الواضحة في أوضاع الجماعات وأعمال الناس . وكأن الديانات ليست نظريات فلسفية وعقائد أو أعمالاً يختص بها فريق دون آخري فحسب ، بل هي وجود اجتماعي ظاهر يتها من أقدار مشتركة من العلم والعمل والعقائد يشيع بين الناس جميعاً وعلى هذا فباح لأمثالنا ممن يؤمنون بأثر الدين ويعتقونه أن يدلوا فيه بأرائهم .

وقبل الدخول في صميم الموضوع أشير إلى ما أتبع من الخطط في معالجته . فمنها أنني تجنبت الاستقصاء على نحو ما تزعم إليه الفلاسفة في طلب الأصول الأولى أو الغايات البعيدة وتوخيت أن أعتمد على المشهود الواقع من الآثار القريبة للديانات ، فلم أبدأ مثلاً إلى النظر في مختلف المظاهر الدينية في الشعوب البائدة أو البدائية ، بل تلمست الدين ومظاهره في نفوس المعاصرين المتبادلي النشاط والمسيحي .

كما أنني لم أعمق في البحث على نحو ما يريده الاجتماعيون والفلاسفة ، فيتساءلون أكانت النزعات الدينية أسبق من النزعات الخلقية ، أم أن هذه الأخيرة كانت أسبق من الأولى . وحسبي في هذا الشأن أن أعتمد على أن هناك صلة تقوم بين الأخلاق الجارية والديانات المعروفة ، وأنها جميعاً تتعاون في طائفة من التوجهات .

وعلى الجملة فحسبنا فيما نحن بصدد من البحث أن ننظر إلى الدين من نواحيه الاجتماعية الجارية العملية ، لا من نواحيه الفلسفية أو اللاهوتية .

وكذلك نفترض بعد أن تبيننا لنا طريقة البحث التي نسير عليها أن كلامنا يسلم ببعض أصول تعين على ما يقصده إليه من تحقيق تعاون عالمي على أساس العلاقات الدينية .  
فقرر:

١ - أن الإنسان كما هو مدني بطبعه ، هو كذلك ديني بطبعه ، بمعنى أنه يتزع إلى الإيمان بقوة لاحتها لما تحيط بكل ما يقع عليه تصوره من وجود محدود ، وأن صلة الإنسان بما لا حد له تولد في خافية وجدانه شعوراً بالعبودية ياتقظ عند المناسبات . وفي بقضته يجتمع

الناس على أسلوب من الخضوع والرجاء يزيدهم يقينا بضعفهم وحاجتهم إلى عون القوة العظمى التي لا تتركها العقول والأوهام . ولعل في هذا الشعور المشترك بين الناس جميعا أول ينبوع نفسي لمجاري الديانات واختلاف ألوانها . كما أنه من الملم به أيضا أنه ما وجدت جماعة من البشر تربطت في نظام إلا آمنت إيماننا بأسلوب في حياتها جعلت منه ديننا وعقيدة .

٢ - ثم نقرر مبدأ ثانيا وهو أن سير التيارات الدينية الكبرى كان في حركات التنقل من الدوائر الضيقة المحدودة إلى الدوائر الواسعة الشاملة ، بمعنى أن طائفة من العقائد كانت في بدايتها محصورة في قائل وأم معينة ، ومع تتابع الأجيال وتطور الفكرة الدينية اتجهت هذه العقائد للجمع بين مختلف الشعوب ، والسيطرة في البقاع المتباينة ، حتى يبدو أن أكثرية من سكان الأرض يدينون لإله واحد هو رب العالمين ، وأن التزوع الديني يتحول إلى تزوع عالمي واسع .

٣ - أما المبدأ الثالث فهو أن العقل البشري سيظل يحكم طبيعته وحدوده قاصرا عن إدراك بعض المسائل وفهمها ، كالأصول الأولى أو الغايات النهائية لظواهر هذا الوجود وفق سنة لا تتبدل ولا تتغير . وقد يدعو ما هو مشاهد من انسياق الظواهر في سنها إلى التساؤل عن كنه هذا الانسياق وخصائصه ، ولماذا كانت هذه الخصائص لبعض ظواهر دون غيرها ، ولماذا كان سعى الانسان ونشاطه يتصلان دائما بأهداف ومثل يقدر المرء أن الخيري بلوغها . وليس في نظام العلم ومألوفه أن يحكم على خيرية هذه الأهداف أو شريرتها حكما مطلقا ، بل إن تقدير ذلك راجع لمنطق العواطف والوجدانات العميقة ، وروح الحياة العملية السائرة التي يطاع وحيها في كل شيء ، حتى في التضحية بالنفس لمصلحة عليا غير مصلحة الأفراد ، فإن المرء يحس بالحاجة لأن يستمد لشعوره ولحياته العملية من توجيهات أخرى غير توجيهات الواقع العلمي ووجيهه ، وتلك هي توجيهات العقائد والأديان والإيمان .

٤ - ثم نقرر بعد ذلك مبدأ رابعا ، وهو أن جمهرة واسعة من الناس في هذا العصر الذي نطلق عليه عصر التقدم ، وهو عصر غنى بأنواع من الخيرات والنعم المادية والمنية أقول : إن هذه الجمهرة ترى جديرا بمن يعيش في هذا العصر أن يسعى للانتفاع بما في هذا الخير والجمال والاستمتاع بها جميعا ، وأن ما هو مثبت في الوجود منها يفرض بشحن المصاعب والعزائم لحسن استغلالها ولمرقة عناصر الشر من مظاهر البؤس والألم والقيح والفقر التي طالما تعطل مباح الحياة .

وزيادة على ما تقدم نقرر أن الحياة الاجتماعية الراهنة ما زالت تعص في أساليب التعقد والتشعب ، فتبعث على ازدياد الرغبات والحاجات ، وأصبحت وفرة المكتشفات الآلية والكيميائية والمنية تمد في ذلك مدا ، مما أدى من جهة إلى انتقاص أوضاع البساطة

وجمالها وخيرها ، ومن جهة أخرى الى الاعتزاز بهذه المكتشفات والأدوات التي أغرت بعضها بالزهو والعتو وهيات لبعض آخر الاستسلام والحقد الكين ، وكل ذلك يشيع القلق والاضطراب في نفس الجماعات و بين مختلف الشعوب ، مما ينتهي بقلق نفسي واضطراب لا يتفق مع أساليب الطمأنينة العامة المرجوة والتعاون للسلم .

و بعد أن قدمنا هذه المبادئ التي أقدر أنها موضع اتفاق بين الكثيرين يصح أن نلم للمامة سرية ببعض الأصول والأقدار المشتركة بين الأديان مما أحسبها دعائم ترحى لبناء صرح من التعاون العالمي في سبيل الخير والسلام .

فبدأ الترابط في المودة والتعاطف المشترك بين الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم الدينية قد قرره الاسلام في جلاء ، وفرضه على متبعيه من غير ائس ولا إهام ، فجاء في كتاب الله في سورة الممتحنة هذه الآية الكريمة : ( لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

وفي هذه الآية حض واضح على مسألة المسالم ، وربط أواصر المودة معه في البر والخير . وفيها مقابلة العدوان بأوجه الدفاع إحمادا لنار العداوة حين تشتعل ، وردعا لامتنى من غواية الاعتداء . وإذا كانت المسألة يقويها الدين الإسلامي مهما يكن دين المسالم ومذهبه ، فأنتم إذن وأكرم بهذا المبدأ ليكون ركازا لتعاون عالمي بين المسلمين وغيرهم . ولم ينفرد الإسلام عن الديانات الكبرى بهذا المبدأ السامي ، فإن في النصرانية واليهودية من المبادئ ما يساير دين الإسلام في ذلك ويجاريه . فإذا كانت هذه الديانات تتأزر بعضها مع بعض في مبدأ أسامي كالذي قدمت ، فإن الفلاسفة والأخلاق تتعاون كذلك مع هذه الديانات في هذا المبدأ الإنساني الجليل .

ويلوح لي أن كل ما يطلب الآن هو تيسير جريان مثل هذا المبدأ المقبول في جميع الديانات الراقية وتعميمه بين الشعوب ، فيتعاضد الدينيون على اختلاف ملاتهم في الوسائل الصالحة لنصرتة ولتحقيق أثره . وليس بنا الآن من حاجة إلى الإسهاب في عرض ما يتخذ من الوسائل . وسنشير إليها فيما بعد في فرصة آتية .

وفي الديانات كلها كذلك أصل مشترك آخر لا يقل جلالا عما تقدم ، يتمثل في فكرة السلام . فإنا نجد أن الإسلام أشار الى معانيها في نيف وستين موضعا من القرآن ، عدا ما ورد في الآثار الصحيحة ، فقد جمعت تحية المسلمين في صلواتهم وتواضعهم مقرونة بذكر

السلام ، واتخذ رب المسلمين لفظ السلام من أسمائه الحسنى ، وفي ذلك أوضح دلالة على ما لهذا المعنى من مكانه في دين الرسول العربي . وكما أن هذا مقرر عند المسلمين هو مقرر كذلك في الديانات الأخرى ، لا سيما المسيحية ، في وضوح وجلاء .

وكذلك عينت الديانات الكبرى برعاية الوحدة الأولى التي تتكون منها الجماعات والشعوب ، فكأنها تقدر ما لنظام الأسرة من شأن وخطر ، وما يتصل به من حرمة وقداسة . فقدت ، قزرت الديانة اليهودية — وهي أولى الديانات السامية المعروفة — مكانة لأسرة . فن أظهر الوصايا في هذا الدين تجليل الوالدين ، والاحسان إليهما ، وصون الأعراض ، والمحافظة على أساليب الطهر في الحياة الاجتماعية ، وتقدير البتة والإثارة منها لتتوية الجماعات ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بمكارم الأخلاق الاجتماعية . وكل ما تقرره اليهودية في ذلك من الاتجاهات تؤيده النصرانية ويؤيده الإسلام .

### المبادئ المادية :

ولو تفحصنا ما ترمى إليه المبادئ الشائعة في الديانات لوجدناها تلتقي عند مصلحة المجموع وتقديدها على مصلحة الفرد . فكأنها تتأزر في إعلاء كلمة الإيثار على كلمة الترة ، من ثم كأنها توجه الأفراد الى نواحي الخير الدائم الآجل على ما يخلب الأبصار من نواحي الخير البراق العاجل . وكأن السياسة العامة للأديان جميعا تتمثل في صورة العتيدة بانخير ، ونحويل هذه العقيدة الى إيمان يدفع أهله الى سعى منظم في هذه الحياة الدنيا وفق دستور روي مقدس ، واذا صح في الذهن أن تتمثل الديانات في هذه الصورة التي قدمت فإننا نتقرر أن لها عدوا وعدوا في النزعات والمذاهب المادية على اختلاف أنواعها وصنوفها منذ أقدم العصور الى يومنا هذا . واولى لا يستطيع في هذا المقام المحدود أن أعرض المذاهب المادية في اختلاف صورها ، وحسبي أن أشير اليها إشارة سريعة . فليست النزعات المادية التي تقصد الى ذكرها حتى ما يقصد اليه الفلاسفة وعلماء الطبيعة من تعليل الطواهر الكونية والحالات النفسية بأسباب تتدرج في هذ الكون المشهود ، وينشأ من توصلها وتقاطعها بعض ما يتمثل لمدار كنا وجواسنا ، كأن نعلل ظاهرة كونية بتألف في الكهارب والطاقات ، أو أن نعلل حالة من حالات النفس بنقص أو زيادة في إفرازات كيميائية ومادية في ضد الجسم وتفاعل عناصره . بل المقصود بالمادية هنا نزوع الأفراد والجماعات نزوعا يعتمد على غرائز الأنانية والأثرة ، وينشط بهم الى إشباع الشهوات الوضيعة بوسائل الكفاح والغلبة ، على اعتبار أن ليس وراء هذا الوجود المحسوس المشتمى وجود آخر إلا الأوهام ، وأنه في سبيل الواقع المشاهد المستطاب يناصل الناس ما استطاعوا النضال ، وينازلون ما استطاعوا النزال ، ليظفر كل لنفسه بالمطلوب ، ويخرج من المععة المهلكة بما يحسبه المحبوب . وفي هذه الحالة يبعد عن تصور الشخص المادى وخياله كل ما تصبو اليه نفوس المتألمين من معنويات .

ولقد وجدت هذه الصورة الإنسانية وهذا النزوع النفسى المادى فى مختلف العصور . فكانت فى حضارة اليونانيين والرومانيين ولسفاتهم حين كان ثم دعاة لاقتناص الذات المادية المواتية . وكانت فى عصور الحضارة الإسلامية حين استهتر المستهترون من الشعراء بالآداب والفضائل . وكانت كذلك فى حضارة الغربيين قديما وحديثا حين نادى منهم من نادى بمبادئ الكفاح والغلبة ، وتهوين قيم الفضائل . وعلى الجملة كانت بين من نطاق عليهم اسم المستهترين والإباحيين . وفى هذا الضرب من ضروب المادية خصومة صريحة للديانات جميعا إذ لا تطبق المادية قيود الدين ولا تستسيغ تكاليفه فى الأصول والفروع . وما قد يقال فى ذلك عن عداوة المادية للدين يصح أن يقال فى عداوتها للأخلاق ، لأنه إذا كان رأس الحكمة على ما يقوله الأخلاقيون الدينيون مخافة الله فهيات ما بين المادية وبين هذا الخوف من الله . وإذا كانت الأخلاق عاقلة بحياة الجماعات فهيات ما بينها وبين من يؤثرون انفسهم وأبايتهم على ما يطلب للجماعات والشعوب .

وفى هذه الحالة التى تظهر فيها أشباح المادية والدينية يتها ميدان متسع لحرب أزلية وتدافع فيه سجال بينهما ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ... )

ويبدولنا أنه لا محيص عند طفيان المادية لأهل الأديان - وهم بطبيعتهم من أهل المثل العليا - أن يتكاتفوا لمقاومة هذه التيارات الإباحية التى أصبحت شديدة الجريان والانتشار فى هذا العصر ، وزاد بذلك بطشها الفتاك بآداب الإنسانية ومعنوياتها .

### أسباب انتشار المادية :

وقد ترد قوة التيارات المادية فى هذا العصر إلى عدة عوامل منها : ضعف السيطرة التى كانت للديانات على نفوس الناس ، وذلك لضعف شخصيات المترعمين الدينين ، وفساد أساليبهم فى التوجيهات الروحية وعجز وسائلهم فى أداء رسالتهم . ومنها : تقدم العلم ووصوله بطرائقه الفعاله إلى الأهداف التى ياشدها حين كشف الغطاء عن كثير من أسرار الوجود ، واستخدام هذا الكشف لمصالح الإنسان ورفاهيته المحسوسة . ومنها : تدانى بقاع الأرض بمختلف وسائل النقل والاستعمار الحربى والتجارى واستغلال الأموال بحيث تسالت الأساليب المادية من بعض الشعوب لبعض آخر من كان يدين بغير المادية ويقرب فى عيشه من الفطرة السليمة الخيرة . ومنها : ضعف تأثير المعنويات فى حياة مستغرقة بالحركة ومحاطة بشتى وسائل الكفاح والتراحم مما يشغل الناس عن الاطمئنان إلى التفكير والأمل فى المعانى السامية .

وفى الحق أن ما يبدو لأقل وحلة أنه تقدم عظيم للإنسانية حين توافرت لها أساليب التعمير والنقل الآلى والفنون المثيرة للشهوات ، ليس يدل على التقدم إلا من ناحية واحدة :

تلك ناحية الوجود المادى فحسب . أما من ناحية إنسانية الإنسان ونزوعه إلى الخير والإيمان والسلام، وعلى الجملة من ناحية اعتداده بالتسلح المعنوى فقد يبدو أن الإنسانية لم تتقدم فيها تنمدا يتناسب مع تقدمها المادى ، بل ربما يلوح أن الناس تأخروا إذا قيست متازعهم في هذا العصر بالعصور التى نشأت فيها المبادئ الكبرى وقامت فيها الدعوات الدينية البريئة الطاهرة . وإن مجرد التصور لهذه الحالة من تقدير التأخر المعنوى قد أزعج الكثيرين من المفكرين وأهل الوجدان من نيف وربع قرن ، أى في فترة الزمن الذى يشمل مبادئ الحرب الكبرى وامتداداتها في الحرب الحالية، فشحروا بحاجة ماسة إلى وضع أساليب أخرى في الحياة لتقيهم شر ما هم فيه من الضجر والتلق النفسى وما تتعرض له الإنسانية من الشدائد ولم يعدوا لذلك أفضل من إنعاش ما ضعف من العوامل الروحية والدينية في نفوس الناس ونشر فضائلها في الشعوب نشرا صادقا يتحقق في الأعمال لا في النظريات والأقوال .

ولم تكن الدعوة إلى عبادة الأمم والرغبة في توجيه الثقافات توجيهها ينسجم مع مبادئ العدالة والسلام إلا إرهابا لحياة جديدة خرة أسلم من هذه الحياة نرجو أن تزدهر . وللاذنين بطبيعة عقائدهم عمل كبير في نشر المبادئ التى تحقق هذه الحياة المنشودة إذا هم عملوا بجد وصدق وتعاون صحيح .

### أخطاء أهل الأديان :

وإنا لا نبرئ الدينين من تفريط ممكن لخصوم الأديان والمستهترين بمبادئها ألا يقبلوا عليها فيما أضعف في الزمن الأخير من هيمنة رجال الدين على النفوس أنهم لم يمشوا الفضائل الدينية في حياتهم الخاصة حين ينبغي أن تكون هذه الفضائل حية ماثلة في مساعدهم وأعمالهم . فليس من الحق أن يتنادى رجل الدين بالتقاة وهو جاد في أساليب الطمع . وليس من الحق أن يتنادى بالتسدىق والصراحة وهو يلوذ بالكذب والتفادى . وليس من الحق أن يجهر بالتقوى وهو غير برىء من الإثم ، ولا بالتسامح والسلام وفي نفسه الانتقام والعدوان . وكثيروا أسفاه من يخرط في زمرة الدعاة الدينين الروحانيين دون أن يحققوا في انفسهم مطالب الدين العليا كما ينبغي أن تتحقق ، ومن ثم قلت الثقة بكثيرين من رجال الدين ، حتى تزعمت الثقة بالدين نفسه .

ومن أخطاء الدينين كذلك أنهم جعلوا من التفاصيل الفرعية للديانات مشارا للثلاف والفتن فكانت شيع وكات مذاهب ونحل مما كوّن الحزازات وضغائن النفوس . فإذا كان هناك من التفاصيل ما يجوز أن يفرق وجهات النظر وفقا لتعدد الأمزجة واختلاف العقول والأذواق ، أفلا يكون في الأصول الأولى مدعاة للتجمع والتعاون لما فيه الخير الشامل العميم . لقد يكون من الحكمة الأزلية بأن تختلف العقول في الجزئيات لتظل أداة التفكير مشحونة متوثبة لا تكمل ولا تصدأ . لكنه ليس من الضروري أن يكون مثل هذا

الاختلاف مدعاة للخصومة والقطيعة . ولماذا لا يتردد في نفوس أهل الديانات جميعا مثل قول الصوفي ابن العربي :

لقد صار قلبي قابلا لكل صورة  
و بيت لأوثان وكعبة طائف  
فرعى لغزلات ودير لرهبان  
وألواح توراة ومصحف قرآن  
أدين بدين الحب أنى توجهت  
ر كآبه فالحب ديني وإيماني

وما دمتا في صدد الإشارة إلى ما خصه من اخطاء الدينين فلا يسعنا إلا دعوتهم عن سبيل الأصول الأولى للديانات ليسمروا المحبة بين الناس ، وليستفيدوا لذلك من هالة الهدامة الدينية التي مازالت لهم ولازال لها سلطانها وأثرها في النفوس . وربما ترتب على اتحاد رجال الدين أن تحمل مشيئة الله على الأرض لتكون بين الناس المحبة وليحل بينهم السلام ، فنفسجيم النظم السياسية المتضاربة ، ويتوجه الأفراد في أداء واجباتهم لخدمة الشعوب ، وتجتمع الشعوب لخدمة الانسانية جميعا .

### واجب الدولة :

وكما أن على الدينين والمقدرين لقيمة الدين في الحياة الاجتماعية والإنسانية واجبا في تيسير نفوذه وتوجيهاته الروحية ، وكذلك يلوح لى أن على الدولة واجبا كبيرا في إعلاء كلمة الدين .

لقد أذى التنازع بين سلطان الدين وسلطان الحياة المدنية والمادية في بعض الأمم إلى إقصاء الدول والحكومات عن اتخاذ الدين لها شعارا . واعتمد المتشيعون لذلك على أن أبناء الأمة قد يرتبطون بشتى الروابط من آمال وآلام ومصالح مشتركة ذات وجود واقع دون أن يشتركوا في العقائد التي لها ميادينها في عالم النفس الباطنة وصميم الوجدان . ولذلك ترجح لديهم ألا يكون للدولة دين ترعاه ، وليرع كل فرد من افراد الأمة ما هو مكنون في ضميره . وقد يعترض على هذا الرأي بأن الدين — وإن كان منبته الأول في العقيدة الخافية — فإن الإيمان به له أثره الواضح في الحياة الاجتماعية الظاهرة حين تصطبغ المعاملات والأعمال بما تلونها به العقائد . فالأخلاق الجارية ، وآداب السلوك ، كل ذلك يتأثر تأثرا كبيرا بما يتصل بدواخل النفس ، وقد يتم الظاهر في مجارى الحياة عن الكثير الخفى في الوجدان . وفي الإسلام حض دلي أن يكون نشاط المرء ومسعاها منسجما مع عقيدته ودينه حتى جاء في الأثر "الدين المعاملة" .

وأغلب الظن أن كل أمة فيها أكثرية من أهلها يدينون بعقيدة واحدة . وليس من خير على الدولة . تدين بدين الأكثرية وترعاه ، وأن تجعل من واجبا رعاية دين الأقليات ، لأن دين الأقلية مهما اختلف عن دين المجموع الأكثر فانهما يلتقيان في الأصول التي تستوجب الرعاية والتقدير .



تترتب إلى إيمان ويدنيه من الغاوب أكثر مما يربح في عالم الغيب وما يبدو فوق العقول  
لا تدركه العقول .

ففي الديانات إذن ما يشير في النفس عوامل الإيمان ، ولا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا  
بدواعي الإيمان . فتيارات الحياة الاجتماعية الملاحقة المتضاربة فلما توصل المرتاب المرعد ،  
وقلما تدنى الأنبي المتشائم من بر السلامة ، لكنها تحمل المطمئن على أمواجها والمتفائل المستبشر  
المتوكل على الله الراضى بقضائه إلى شاطئ التوفيق . ولقد أصاب "ديكارت" أبو الفلاسفة  
الحديثة حين لم يجعل في نفسه للشك سبيلا حيال أصول الدين ومبادئ الأخلاق ، في حين  
كانت طريقتة التشكك المعن في مسائل الكونيات .

ولقد أجزى الدين الإسلامي قداسه إلى أكثر من جزئيات الحياة العملية وأوصل فيها بذلك  
قبسا من حرارة الإيمان ، وتلك مزايا ذكرها له «أوجست كومت» كبير فلاسفة الواقعيين .

وفي الحق أن الديانات حين تنتق في الإيمان بالأصول العليا ، وفي الشخص إلى العظمة  
اللانهاية ، وحين تتجه أعمال الإنسان إلى هذه الالظمة فإن هذه الأعمال تكسب ألوان العظام  
والنسamy ، ومن ثم يصبح الدين والإيمان عملا ويصبح العمل إيمانا ودينا .

ولما في الموقف الذي نجهر فيه بأماننا في تعاضد الأديان السجوية لمكافحة شرور المادية  
وتغليب النزعات الروحية والمعنوية ، لعلنا تقدم الاستبشار ونرجح التفاؤل فالزمن موات ونفوس  
الناس متهيئة لتلك الدعوة .

وإني في خاتمة القول لا أتجاوز ساحة التفاؤل لو رمزت لما في نفسي بما يذكر في أساطير  
الأولين من نجو خمس وعشرين قرنا في فلسفة الفرس ودياناتهم حين تمثل صورة من صور  
الكفاح بين المادية والدينية .

فلقد قدر هؤلاء الأقدمون أن الإله أو رمزه مصدر الخير والنور والروحانية كان هو  
الأصل القديم الأزلي الأول ، لكنه بعد حين ارتاب في ثقته بنفسه الخيرة فتولد عن ارتيابه  
«أهرمن» رب الشر والظلام والمادية حين كان خلق الدنيا فلازم إله الشر خلقها ،  
وأحاط بها كما يحيط سواد الظلمة بلائ الضياء . ووقف هذا الإله الأخير موقف المضاد  
المكافح لمعاني الخير التي تجبث عن «أورمزد» كما تقاوم الظلمة اشعة النور .

ثم تمثل هؤلاء الأقدمون حياة الكون المحدود تمر في أدوار أربعة ، ففي الدور الأول كان  
حكم الخير والنور ، وفي الدور الثاني تنارع النور مع الظلام والخير مع الشر بأسلحة متعادلة  
وكانت الحرب بينهما سجالا . أما الدور الثالث فكانت الغلبة للإله الشر «أهرمن» حين  
تكاثرت أباليسه وشياطنه وقواه الجهنمية . لكن في الدور الرابع الأخير قد تغلب إله النور ،  
وترجح جانب الخير على الشر ، وبعث الموتي من القبور مطهرين من خطاياهم ، وتقدم  
«أهرمن» خاضعا تائبا لأورمزد وانطوى الشر منهضوما في جوف الخير ، ودرجت  
الظلمة في مدراج النور .

ولعل العالم بدعوته الروحية المتقبلة يغلب المسدى على الضلال ، وبمحقق الغلبة لأورمز  
على أهرمن ، ويملو على الظلمة الضياء .

## الإسلام دين الخدمة الاجتماعية والتضامن الإنساني

تستمد الخدمة الاجتماعية أصولها من الروح الانسانية التي تتطوع لخدمة الضعفاء  
والمحتاجين الى العناية على اختلاف ضروبها : مادية ومعنوية وطبية ... الخ .

والدين من أشد المؤثرات في هذا الروح الانسانية العطوف ، وقد كان التأثير الديني  
عاملا من العوامل القوية في التهذيب الوجداني والتعاطف الانساني ، في جميع العصور  
وجميع البيئات .

وإذا نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية وجدناه دين الخدمة الاجتماعية ودين التضامن  
الانساني ، سواء في ذلك نصوصه وأحكامه أو تصرفات نبيه وخلفائه .

ويصعب علينا أن نأتي هنا بجميع تلك النصوص وجميع هذه التصرفات ، فكتفى بأن  
نضرب لها أمثلة تبين كم كان لهذا الدين من فضل في البر الاجتماعي ، وكم يصلح أساسا  
لمشروعات الخدمة العامة في جميع العصور . ثم لينظر المساءون الآن كم هم بعيدون عن روح  
دينهم حين يهملون الجانب الانساني والاجتماعي فيه .

\* \*

علم الاسلام أن أساس الخدمة الاجتماعية والبر الانساني هو الروح الذي يدفع الانسان  
الى البر لا المظاهر التي يتراءى بها وقد يكون له فيها مآرب أخرى ، بخلاف في القرآن الكريم :

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ  
ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ  
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ) .

فالبر إيمان في أول الأمر واطمئنان الى عقيدة ، ثم الصدق بالمال على حبه ،  
ثم إخراج هذا المال فريضة محتومة في الزكاة ، بناء على هذه العقيدة وهذا الايمان الذي يغلب  
على حب المال ، ويدفع صاحبه الى الصدقة والى الزكاة .

والبرروح عطوف وشعور لطيف ورحمة وحنان قبل أن يكون مالا يقصد بإعطائه  
الرياء أو يتبعه المن على الفقراء : (حَقُولٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا  
أَذَى) ... ( لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ) .

والرحمة أساس الايمان ، أما القسوة وفجاجة البرهوى مصاحبة للكفر : ( اَرَأَيْتَ  
الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ) .  
والأمانة في القرآن كثيرة على أن البرشعور نفسى قبل أن يكون مظهرها ماديا وأن هذا  
الشعور وولد الإيمان وقرينه في نفوس المؤمنين .

ولكن الاسلام دين عملي فهو لا يكتفى بأن يقرر هذا المبدأ ويتركه من غير تشريع ،  
فكثير من الناس لا يبلغ شعورهم من الرقى درجة يصنمون معها الخير بلا حافز ولا قانون ،  
وأوساط الناس من هذه الطائفة ، فليكن القانون دقيقا معهم وحازما ، أ.أ الذين تندفع  
نفوسهم إلى الخير بوازع من الضمير : فسيؤدون هذا الخير قبل أن يطالبهم به القانون .

ولما كان المال عصب الحياة ووسيلة العمل ، فقد شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها  
فرضا على القادرين ، ليوفر للبرموردا ثابتا ، وليجعل الدولة بهذا المورد مسؤولة عن المحتاجين للـ  
الاجتماعى وقادرة على حل هذه المسئولية والنهوض بها : ( وَأَقِيمُوا الصَّالَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ )  
( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ  
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ) فهذه موارد الزكاة ومصارفها  
مبينة في نصوص القانون ، وعلى الدولة أن تجبى الزكاة وعليها أن تصرفها في وجوهها . وذلك  
هو البرالاجتماعى القانونى فى أرقى صورده فى العصر الحديث .

ثم لا يكتفى الإسلام بالزكاة المفروضة ، فهناك صدقات يبحث عليها ويزينها ويثني على  
من يجودون بها : ( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ  
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ  
بِهِمْ حَخْصَاةٌ وَمَنْ يَوْقِ شَخْخُ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

وفي موضع آخر يتحدث عن الأبرار عباد الله فيقول : ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ) .

وفي هاتين الآيتين وسواهما تفصيل لوجود البر عن طريق الصدقات . للمهاجرين والمساكين واليتامى والأمرى ... وسواهم ممن يحتاجون للرعاية والبر بالعطف وبالطعام وبالمال وبالإيواء ، مما نسمع به الآن في بعض الأمم التي دعتها كوارث الحرب فقفت أمامه مبهوتين مهجرين ؛ وهو وأمثاله عندنا من صميم الدين .

ثم يتنزه الإسلام كل فرصة ليدفع المؤمنين إلى البر والجلود والتبرع ، فكثير من الخطايا والأخطاء يجعل التكفير عنها بالبر ، وكثير من التقصير في العبادات يجعل التعويض منه بالبر

فمن حلف يميناً لم يوف بها وحنث فيها ( فَكَفَّرَتْهُ وَأُطْعِمَ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ) وكلاهما بر اجتماعي وإنساني .

( وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ )

ومن أنظر في رمضان حامداً من غير مبرر شرعي فن بين الكفارات التي تطهره : (تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكيناً) .

ومن ضعف عن الصيام للشيوخ أو لمرض لا يرجى شفاؤه فعليه أن يطعم مسكيناً من المساكين كفارة عن كل يوم من أيام رمضان ... وهكذا .

وإذا تجاوزنا النصوص الواردة في القرآن الكريم والواردة في الأحاديث النبوية وهي كثيرة لم نذكرها هنا ... إذا تجاوزنا النصوص إلى التصرفات العملية لنبى المسلمين وخلفائه وبعض ملوك الإسلام في شتى عصوره نجدتها في الحياة العملية مصداقاً للنصوص المكتوبة .

فحمد عليه الصلاة والسلام يتصدق حتى لا يبقى لنفسه شيئاً ، وكان يواسى الضعفاء بنفسه ويقول "أبغونى الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" وشملت رحمته الإنسان والحيوان فقال من حديث : "في كل ذات كبد رطبة أجر" .

وعمر بن الخطاب هو صاحب القصة المعروفة مع العمية الجياع وهي المثل الكامل للخدمة الاجتماعية يؤديها الحاكم لرعاياه ، والقوى للضعيف ، والانسان للانسان . ولكن أدل منها على روح البرقصة عمر مع اليهودي : "ذلك أنه رأى شيخا ضريرا يسأل على باب . فلما علم أنه يهودي قال له : ما أهلك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ! فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول : انظر هذا وضرباه ، فوالله ما أنصفناه إنا أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكآب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه ."

فهذا مثل للبر الإنساني المجرد عن العاطفة الدينية ، ومثل في الوقت ذاته للبر المنظم الذي توضع له القواعد ليكون عرفا وقانونا شاملا للحالات المختلفة في كل حين .

"وأعطى الوليد بن عبد الملك المجذومين وقال : لا تسألوا الناس ... وجعل لكل مقعد خادما ، ولكل ضريرا قائدا ، وكثرت من بعده المستشفيات والملاجئ والتكايا في أرجاء البلاد الإسلامية لإيواء المرضى والفقراء والسائحين والمحتاجين ، فما يمر سائح ببلد إلا وجد مأوى وطعاما في هذه الدور أو في بيوت الناس ."

فهذا الدين الذي تحوى نصوصه وشرائعه تلك المبادئ والذي يتصرف المؤمنون به هذا التصرف هو دين الخدمة الاجتماعية ، ودين البر الإنساني ، فإذا تخلف قومه في عصر من العصور عن الوفاء بنفسه وروحه ، فذلك تقصيرهم وحدهم ، وعلى المصلح الاجتماعي أن يذكرهم بدينهم ، ويتخذ منه أساسا للخدمة الاجتماعية بينهم ، وهو أساس صالح ممكن .

وذلك واجب رجال الوعظ الديني الذين لهم بحكم مناصبهم وحكم عملهم اتصال عملي بالناس فقيرهم وغنيهم على السواء وهم بحكم ثقافتهم أجدر الناس بأن يتولوا الإرشاد الديني على أسس اجتماعية . وأن يجعلوا مواظبتهم تنصب على هذا الجانب الحي الواقعي في حياة الشعب ؛ وإن هذا الإرشاد لينتج أفضل النتائج حين يطبق الدين فيه تطبيقا واقعيا على المشاكل الاجتماعية الحاضرة ، لا حين يسلك طريق البحوث الفقهية أو التشريعات المجردة كما نلاحظ في كثير من الأحاديث الدينية في الإذاعة والخطب المنبرية في المساجد .

## الموظف

ما له وما عليه نحو المجتمع  
لصاحب العزة أمين خبرت الغندور بك  
المراقب العام لمستخدمي الحكومة والمعاشات

”أقيمت هذه الكلمة من محلة الاذاعة اللاسلكية بدعوة  
من وزارة الشؤون الاجتماعية“ .

المحرر

الموظف ، ما له وما عليه نحو المجتمع . هذا هو الموضوع الذي تخيرته لى وزارة الشؤون الاجتماعية ، للتحدث فيه إليكم . ولقد استقبلته ، بآدى الرأى ، بغير كثير من الاكتراث ظنا منى أنه يكفينى أن أقول إن الموظف زهرة الأمة وزبدة تربيتها وخلاصة تنشئتها : فليها عليه البرهيا والنصح لها وعرفان صنيعها . وله عليها ألا تجحد فضله وخيره ، وأن تعرف للمحسن احسانه واللىء آساءته ، فتجزى كلا بما يستحقه . حسبت أنه يكفينى التوسع فى هذه الفكرة ، لأملاً فراخ الوقت بكلام ، إن نطقته وزوقته قيل أجاد ، وإن تعثرت بى الكلمات قيل رجل زجج به فى غير مضاره فبذل الجهد .

غير أننى رأيتى كلما ازددت امعانا فى التفكير ، تفتحت على أبواب البحث وتعاطمنى الأمر فخرت أى باب منها أطرق وأيا أترك ، وفيها الشائك وفيها الموحش الذى يحتاج الى الهادى الخبير والدليل الختريت ، ليتحسس مواضع الأمان ويتقى مواطن الزلال .

الموظف والمجتمع ، هل هما طرفان متعارضان ؟ أو هما جسيم واحد ، اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحى ؟

الموظف فرد من أفراد المجتمع ، فهل أنكلم عن الحقوق والواجبات بين المرء وعشيرته ؟ الموظف خادم المجتمع وأجيريه ، فهل أعرض لما يجب أن يكون بين ولى العمل والعايل ؟

الموظف جزء من الحكومة ، فهل أتناول نظمها وأعمالها ، وما ينبغى أن يسود أعضائها من تعاون ونضامن ومعدلة ، وما يجب أن تقوم العلاقات عليه بين الحاكم والمحكوم ؟ والمجتمع له شيوخ ونواب يتناولونه ، فهل أبحث فى ماهية السلطتين ، التشريعية والتنفيذية وما بينهما من حدود وفواصل ؟

هذه المواضع دقيقة لا تنسح لها دقائق الزمن الباقى ، ولو اتسعت فلا يسغنى التعرض لها ، فالجمال فيها لرجال الاجتماع ورجال القانون ورجال السياسة والاستور .  
على أنى ملق عليكم بعد ، ما أصبت من دراسات وتجاريب ، أحوم بها حول حماحا ، وأرجو الا أقع فيها .

قال تعالى حكاية عن موسى وابنتى شعيب عليهم الرضوان ، بعد أن سقى لهما موسى ،  
”قَالَتْ إِحْدَيْهُمَا يَبَاءُ بِنَاتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ .  
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ بِإِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ؛ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي بِمَنْبِي حِجَجٍ .  
فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ . وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ . سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ  
عَلَيَّ . وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ“ .

ففى هذه الآيات الكريمة نجد ما يطلبه صاحب العمل من أجيره وما يتعهد به له . يطلب منه القوة والأمانة وهما بجماع الحصول ، فالقوة هى الكفاية ، وهى المقدرة على الاضطلاع بالعمل وحسن إدارته ، ولا يتيسر هذا إلا بتفهم أصوله وقواعده ، والاحاطة بقوانينه وسنشريه وتعاليمه .

غير أن القوة وحدها غير كافية ، بل يجب أن تقترن بالأمانة والعفة ، فلا خير فىمن يجيد عمله ولا يؤديه ، ولا خير فىمن يؤديه ولا يحسنه وهو قادر على الأحران ، ولا خير فىمن يؤديه لغير وجهه . ومادام العامل مأجورا على عمله ، فمن الخيانة أن يمد يده للرشا والمدايا . قال صلى الله عليه وسلم ” من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول“ أى خيانة .

كان زياد إذا ولئ رجلا قال له ” خذ عهدك وسر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سنتك ، وأنت تصير إلى أربع خلال فاحتر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسامتك من معرفتنا أمانتك . وإن وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين . وإن وجدناك أمينا قويا ، زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك“ .

وقال تعالى حكاية عن يوسف الصديق وفرعون " وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَوْنِي بِهِ <sup>عَآءَ</sup>أَسْتَخَاصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ، قَالَ أَجْعَلْنِي <sup>عَلَى</sup> عَلَى نَحْرَيْنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ " .

والحفيظ هو الأمين ، لأنه يحفظ ما يستحفظه إياه وليه . والأمين هو القوى لأنه يعلم وجوه التصرف في الأمر .

فالصفتان ، متلازمتين ، شرطان أساسيان يجب أن يتوافرا في العامل . على أن في هذه الآية توجيهين آخرين ، وهما أن لراء أن يركى نفسه بما يراها أملا له من الأعمال ، وأن للعامل أن يتولى عمالة أو عملا من يد سلطان جائر ، عسى أن يستظهر به على إقامة الحق وبسط العدل ورفع الظلم ، على أن الدول تدول وتزول ، وقد يخاف الجائر منصف محق . حسبنا ما أوردنا عليكم مما يجب على الأجير إزاء مولاه ، وقد قدمنا أن الموظف أجير ، وأن الأمة والحكومة ، هي في وضعه هذا ولاية العمل . ولننظر فيما يجب أن يكون عليه هذا الولي ، مسترشدين بما أخذ على نفسه شعيب النبي الكريم .

تعاقد مع موسى الكليم على العمل له ثماني سنوات كحد أدنى وعشر كحد أقصى . أى زيادة الربع كعمل إضافي بغير أجر ، وهذا إذا ما تبرع موسى من ذات نفسه به ، وأراد شعيب أن ينهى مظنة استغلال سلطانه وحاجة موسى فقال . " وما أريد أن أشق عليك " ، بالزامك أوفى الأجلين أو بارهاقك بالعمل أو بتكليفك غير ماتم عليه الاتفاق أو بمعاسرتك في الحساب . وقال " استجدنى إن شاء الله من الصالحين " فأحسن معاملتك وأين لك جانبي وأوطئ خاقي . وقد بر شعيب بوعده ، فلم يكن من موسى إلا أن تطوع خيرا ، فرعى له عشر سنين . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى ؟ فقال " أبعدهما وأبطؤهما " ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

فالموظف وأمثاله من الأجراء لا يطالبون من ولاة الأمر فيهم إلا أن يرعوا ما بينهم من عنود ولا يسئروا استمال ما لهم عليهم من سلطان وما بهم من حاجة وضعف .

ولو استبدل الرؤساء الكلمة الطيبة بالنابية ، والنظرة العطوف بالشزراء ، ووزعوا الجزاء بالقسطاس ، لشحدوا هم المرءوسين وبعثوا بالطمأنينة إليهم ، ولنالوا منهم أضعاف التاج مع الرضا والقناعة .

إلا أن الأمر غير مقصور على الرؤساء ، فكثيرون من الأمة وممثليها يستكثرون على الموظف أجرة وينفسون عليه رزقه ويعيبون منه عمله .

بلغ عدد الموظفين ( ما خلا الخدم والعمال ) على حسب إحتساء يناير سنة ١٩٤١ -  
١٢٢,٥١٠ ، وبلغت مرتباتهم الشهرية ٧٨٠,٧٨٨ جنيها ، أى أن متوسط راتب الموظف  
١٥ جنيها شهريا .

ويبلغ عدد السكان نحو ١٦ مليونا ، أى أن لكل ٣١٣ فردا موظفا واحدا يتقاضى  
من كل منهم ٤٧ مليا فى الشهر ، ويبادلها بها العناية أثناء الليل وأطراف النهار ومن مهده إلى  
لحده : فهو الذى يتنقاه على أيدي القوابل والحكيمات ، وهو الذى يوفر له الغذاء السليم ،  
ويوقيه الأمراض والأوصاب ، وهو الذى يتولاه إذا أضعف بالتعليم والتهديب ، حتى إذا بلغ  
أشدّه كفل له موارد الرزق وكفاه شر البطالة ، وحماه من سلطان الطغاة من ذوى اثرء ،  
وهو الذى يرفع عنه أذى المعتدين ، ويردّ إليه حقوقه ، ويوفر له الأمن والأقوات ، ويسر  
له الرى والصرف واستفلاح الأرض ويتقّى له البذور ويبعد عنه شرور الآفات ، وينظم له  
الأسواق حتى تنفق فيها سلعته وعروضه ، وهو الذى يفاوض عنه الدول ويرقب مصالحه  
فيها ، وهو الذى يدافع عن بيضة البلد الذى يأويه وهو الذى يجيى منه بالعدل نصيبه فى نفقات  
الدولة ، ويوزعها بالعدل على مرافق الدولة ، كل هذا ، حسبة فى سبيل الله والوطن  
والشعب ، وكل هذا لقاء خمسة قروش أو أقل يدفعها الفرد كل شهر ، ويقاسمه فى هذا  
الغرم الموظف المسكين .

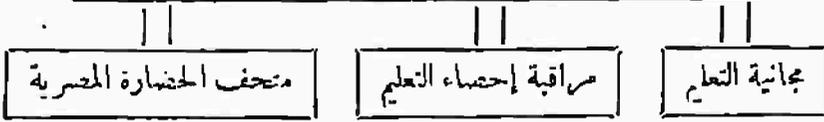
ولقد دل الإحصاء المتقدم ، على أن من بين هؤلاء الموظفين ٢٩,٠٥٠ يعولون أولادا  
تبلغ عدّتهم ١٦٠,٢٦١ أى أن نصيب كل موظف منهم خمس أنفس ونصف نفس .

فهيوا أحدهم فى الجامعة ، واثنين بالمدارس الثانوية واثنين بالمدارس الابتدائية ، والنصف  
الباقى بالبحان ، أما الأول الذى فى الجامعة ، فمصاريفه فى السنة خمسون جنيها ، وأما الأذان  
فى المدارس الثانوية فمصاريفهما فى السنة أربعون جنيها ، والآخران الأذان فى المدارس  
الابتدائية معماريفهما أربعة وعشرون جنيها ، فيكون مجموع ذلك أربعة عشر جنيها ومائة جنيه  
فى العام ويتبقى للموظف بعد هذا ستة وستون جنيها ، أى أن لكل شهر خمسة جنيهاً  
ونصف جنيه للسكن والقوت والكسوة له ولزوجه وولده هؤلاء جميعا .

هذا هو الموظف ، وهذا هو رزقه الضئيل ، كما تبين لكم من الإحصائيات الدقيقة ،  
فارتفقوا به فما أجل ما يعطى وما أهون ما يأخذ ما

أمين خيرت الغندور

## الاتجاه الاجتماعي والقومي في شؤون التعليم



بقلم الأستاذ سيد قطب

أخذت الاتجاهات الاجتماعية والقومية تفرض نفسها فرضاً على شؤون التعليم ، وعلى كثير من الشؤون الأخرى في هذا الوطن ، وأخذ المسئولون عن هذه الشؤون يحسون بضرورة الاستجابة لهذه الاتجاهات ، لأن التيار العالمي والضرورات الداخلية تحتم هذه الاستجابة . وتلك علامة خير لا شك فيها ، فالعالم كله يتجه لتطورات جديدة ، ومصر محطة العالم ، منذ أقدم الأجيال لا تستطيع أن تقف في معزل عن التيارات العالمية بحول من الأحوال . فإذا أحس المسئولون فيها بضغط هذه التيارات فاستجابوا لها ، فذلك علامة خير على كل حال . والمشروعات الثلاثة التي صوّنا بها لهذا المنال هي بعض المظاهر المحسوسة لتلبية الدواعي الاجتماعية والقومية في حياة هذه البلاد الداخلية وللدواعي العالمية التي تتمخض عنها الحرب الحالية ، فلنقل كلمة عن كل من هذه المشروعات الثلاثة .

### مجانية التعليم :

الحياة الديمقراطية معناها اشتراك كل فرد من أفراد الأمة في توجيه سياسة الحكم وفي الإشراف على هذا التوجيه ، وذلك المعنى يتحقق حينما يصبح كل فرد في الأمة قادراً على التمييز أولاً ، وقادراً على التوجيه ثانياً . وهذه القدرة لا تتحقق إلا حين يتمتع كل فرد من أفراد الأمة بضغط مناسب من المعرفة ، أي بضغط مناسب من التعليم .

ولكن للتعليم في مصر أجوراً لا تقدر عليها إلا أقلية ضئيلة من مجموع الشعب ، ومعنى هذا أن الأغلبية الساحقة من الأمة كانت ستحرم من المعرفة التي تهيم لها الاشتراك الحقيقي في توجيه سياسة الحكم وفي الإشراف على هذا التوجيه ، هذا الإشراف وذلك الاشتراك اللذان لا يتم معنى الحياة الديمقراطية إلا بهما .

ومن هنا كان التفكير في جعل التعليم الزامياً مصاحباً لابتداء الحكم الديمقراطي في مصر ، وكان هذا العمل منطقياً لأنه لا ديمقراطية بلا اشتراك في توجيه الحكم ، ولا اشتراك في التوجيه بغير ضغط مناسب من المعرفة .

و بالتجربة اتضح أن التعليم الإلزامى بوضعه الحاضر لا يفيد المعرفة المناسبة ، بل لايزيل الأمية إلا ريثما تعود بعد قليل ، واتضح أن الحد الأدنى للتمسك المناسب من التعليم هو ما يسمى "التعليم العام" في إنجلترا وفرنسا وأمثلهما ، وهو ما يعادل التعليم الابتدأى ومرحلة من التعليم الثانوى عندنا .

ومن هنا اتجهت نية المسؤولين في وزارة المعارف هذا العام إلى أن يكون هذا التعليم العام بالجزان ، وأن يتاح لكل اراغبين فيه المستعدين له ، لثم بهذا الإجراء تحقيق معنى الديمقراطية السياسية . ويتاح لمن يريد قسط كاف من المعرفة .

ولكن هؤلاء المسؤولين لن يحقوا بذلك معنى الديمقراطية السياسية فحسب ، بل سيحققون كذلك المعنى الاجتماعى لها . ذلك أن أول معانى الديمقراطية الاجتماعية هو التسوية في فرص النجاح بين جميع أفراد الشعب ، وذلك بترويضهم بقسط أساسى من وسائل الكفاح والحياة وأول هذه الوسائل هو التعليم ، الذى أصبح سلاح الكفاح الأول فى المجتمع الحديث .

وسيتبع تحقيق المعنيين السياسى والاجتماعى للديمقراطية تحقيق المعنى الثالث لها وهو المعنى الاقتصادى ، فإنه يعنى تبعاً لها ، ويتصبح تحققه ضرورياً بعد تحققها . وهذا البيان يصور عظمة العمل الذى يفكر فيه المسؤولون في وزارة لمعارف ، وبصور ضرورة تحقق هذا العمل ، مهما بدا في أول الأمر من ضخامة تكاليفه المادية ، على أن هذه التكاليف — لحسن الحظ — ليست من الضخامة بحيث تعجز عنها مائة الدولة حتى في هذه الأيام .

وفي هذا المعنى يقول رجل كبير مسئول عن هذه الشؤون :

"أحب أن أقول في صراحة : لآنى أرى أن التعليم العام والفنى يجب أن يكون بالجزان كله ، لأن الدولة إنما أنشئت لتحمى الوطن ، لا من العدو فحسب ، بل من العدو المغير على أجسام أبنائه وعقولهم وأخلاقهم ؛ فإذا كان من الواجب على الدولة أن تهمى حدود الوطن من الحرب الخارجية ، فأوجب من ذلك عليها أن تهمى الوطن من أبغض حرب داخية ، وهى التى تأتى من الفقر والمرض والجهل .

"والذى أعلمه أن الحكومة تميل إلى تعميم الإنجليزية في التعليم الابتدأى والثانوى شيئاً فشيئاً ، والمسألة عندها هى تعويد الميزانية على النهوض بمثل هذا العبء ، ويخيل لى أن البرلمان يستطيع أن يحل هذه المشكلة ويرىح منها الأغنياء والفقراء إن أراد "

وإننا لعل نقية بأن البرلمان "يريد" فالتحقيق العملى لكل معانى الديمقراطية من أشد ما تحمص عليه البرلمانات ، لأنها هى وليدته ، وهى الحفيظة عليه والحرسه له ؛ والمبالغ التى يؤدها التلاميذ ليست شيئاً بالقياس إلى ما تنفقه الدولة الآن على التعليم ، والاستغناء عنها لن يضير الميزانية كثيراً ، وهذا هو ما يقوله سعادة المستشار الفنى للمعارف .

”الذى تكسبه الدولة الآن من التعليم ليس شيئا إلى جانب ما تنفقه عليه ؛ وبعد فإن الدولة لا تطالب الذين يؤدون الخدمة العسكرية بالمعروفات ، فلتنظر إلى الذهاب إلى المدارس على أنه نوع من أنواع الخدمة العسكرية للدفاع عن الوطن ، ولتنظر إلى التعليم كما تنظر إلى الجيش ، وكما أنها لا تنتظر من الجيش ربنا ، فليس ينبغي أن تنتظر من التعليم ربنا“ .

هذا كلام جيد ، وكلام صحيح ؛ وفاتحة عهد تبشر بالخير في تحقيق الاتجاه الجديد .

ولنذكر أن ليست الديمقراطية وحدها هي التي تطالبنا بهذا الإجراء ، وليست الدوافع المعنوية وحدها هي التي تطالبنا به . بل إن مصالحنا الاقتصادية تختمه علينا أيضا ؛ فنحن نحيا في عالم مثقف مزود بكل وسائل الصراع في الحياة ؛ فما لم نسلح أنفسنا بالثقافة لن نفوز في هذا الصراع العالمى . وستنتهى الحرب ، فتتجه الأنظار جميعا إلى الاستقلال الاقتصادى والتعمير الإنشائى ؛ ومصر يجب أن تشارك في هذا كله ، والإضاعت النرص المهيأة لها في المستقبل ؛ كما ضاع كثير من الفرص التي أتيحت لها من قبل في ميادين الاقتصاد . وأول وسيلة للاشتراك في هذا السباق هي الثقافة التي تزود بها أكبر عدد ممكن من أبنائها .

إن مصالح الوطن العليا جميعا تتضافر على تحقيق ما يريده المسئولون في وزارة المعارف فعى أن يجتهدوا من الجميع تسهلا لمهمتهم ، وعونا على اتجاههم ، لمصلحة البلاد .

### مراقبة إحصاء التعليم :

كان من العيوب الأساسية في سياسة التعليم عندنا أنه يضى على غير سياسة مرسومة ، ولغير أهداف معلومة ، ودون الاعتداد على أى إحصاء محدود .

ونشأ عن هذا العيب أن المدرسة لم تكن تلبي حاجة السوق ، وأن السوق اضطرت لاستيفاء حاجتها عن غير طريق المدرسة ؛ وبينما كان هناك عدد ضخم يبلغ عشرات الألوف من المتعلمين المتعلمين لا يجدون عملا ، كانت دوائر الأعمال - ولا سيما الصناعية - تضطر أن تأخذ من غير المتعلمين في المدارس من تتهجد إليهم بأعمالها لأنهم أوفى بحاجتها من المتعلمين !

وبينا كانت معاهد معينة تقذف إلى الحياة كل عام بمئات وعشرات ممن لا مجال لهم في ساحة النشاط الاقتصادى الحاضر ؛ كانت ميادين النشاط تنقصها فئات من متخرجى المعاهد الأخرى أو ممن لم تنشأ معاهد مصرية لتخريجهم ، فاستقلت المعاهد الأجنبية بتوريدهم للسوق .

ولا يخفى ما في هذا كله من ضرر اجتماعي ، وخسارة اقتصادية ، وارتباك في شؤون التعليم في الأور التي لم تعد الحياة العامة تطبقها ، ولا الوضع الاجتماعي والاقتصادي لمصر يتعملها .

ومن هنا نبت الحاجة إلى مراقبة إحصاء التعليم ؛ ووكل إليها أن تقوم بوضع إحصاءات تشمل كل ما يختص بشؤون التعليم النظرية والعملية ، ومنها ما ذكرناه فيما تقدم من دراسة حاجة السوق العملية ومدى انتفاعها بالمتخرجين من المعاهد على اختلافها ، وعدد المتعطلين من كل فئة وأسباب تعطلهم ، ومعرفة مواضع النقص في نظم التعليم الحالية على أساس ما تشاهده وتحميه في الحياة العملية .

ونحن ننتظر أن يكون لهذه المراقبة أثر عملي في توجيه سياسة التعليم ، وبتعبير أدق في وضع أسس للسياسة التعليمية في المستقبل ، ولكننا نقدر المصاعب التي تعترضها ، وأولها ضخامة العمل الذي ستضطلع به في المبدأ ، لأن وضع إحصائية عن المتعطلين وفتاتهم وأسباب تعطلهم هو وحده عمل كبير ، فإذا أضفنا إليه دراسة حاجات السوق المنتشرة من الكفايات العلمية والعملية واقترح الرائل لتلبية هذه الحاجات ، بات لنا ضخامة هذه المهمة ، بغض النظر عن سواها من المهام المنوطة بها .

وإنما تحدثنا عن هاتين المهمتين لأنهما في اعتقادنا أهم وظائف المراقبة الجديدة التي لا يجوز أن تشمل نفسها بإحصاءات داخلية ديوانية تستغرق معظم نشاطها ، وتفعل عن الغرض العملي الأساسي من وراء إنشائها ، وذلك الغرض هو إيجاد التوازن بين حاجة السوق وبين المتخرجين .

وما من شك أن النتائج الاجتماعية لأعمال هذه المراقبة هي نتائج بارزة ، فالمجتمع السليم هو المجتمع المتوازن ، والحياة الاقتصادية الآن قاسية بالغة الفسوة ، وهي لا ترحم الأخطاء ولا تتسامح في النقص أو الاضطراب ، ويجب أن تسير الأمم في هذه الشؤون كالساعة في دقتها وانتظامها وإلا اختلت ووقفت عن التقدم ، واجتاحتها القوى العالمية المستمدة للصراع .

ولقد خسرت مصر فرصا ذهبية كثيرة ، لأن أبناءها لم يكونوا مزودين بوسائل الصراع كالآخرين ، ولأن السياسة التعليمية فيها لم تكن قائمة على أساس الإحصاء ، ولأن الصلة بين المدرسة وبين الحياة كانت منقطعة . فالآن ونحن على أبواب عالم جديد ، تتخض عنه الحرب القائمة ؛ لا بد لنا من التهيؤ والاستعداد .

وقد كتب سعادة رئيس ديوان المحاسبة في مجلة أسبوعية كلمة جاء فيها :

” من واجبنا أن نعيد النظر في سياسة التعليم ، فنعمل على تخريج عمال مهرة يشعرون بمسئولياتهم وواجباتهم لا موظفين يجلسون على المكاتب ويسعون وراء الدرجات ، وأعتقد أن الشبان المصريين ليسوا مسئولين وحدهم عن نقص استعدادهم للأعمال الحرة ، بل إن المسئول أيضا عن ذلك هي سياسة التعليم ، وإحجام أصحاب الأعمال الأجانب عن تشجيع الشبان المصريين ، وإخلاق مؤسساتهم في وجوه شباننا“.

والآن نعتقد أن إنشاء مراقبة إحصاء التعليم سيساعد مساعدة جديفة في إزالة العقبة الأولى ، أما العقبة الثانية فإنه يسهل على السلطات علاجها بعد أن تسلم الشبان المصريون على ضوء الإحصاء والدراسة — بالأسلحة المناسبة ، ثم تفتح لهم الطريق الطبيعي في ميادين الأعمال المصرية كانت أو أجنبية .

### متحف الحضارة المصرية :

بقيت مصر القديمة — مصر العريقة في منابت الزمن ، الضاربة في مجاهل التاريخ — وهما غامضا في نفوس المصريين المحدثين ، لا يعرفون عنها إلا ماوراه بعض المؤرخين القدماء من الخرافات والأباطيل. ومع أن البحوث الحديثة قد كشفت عن زيفه إلا أنه ظل يدرس في المدارس المصرية ، ويملا أذهان التلاميذ بصور مشوهة عن مصر القديمة العريقة .

وهذا التاريخ على ما به من أخطاء لا يبلغ أن يكون تاريخا كاملا ، وإنما هو مقتطفات سريعة ووقائع منفصلة ، وأخبار عن الملوك وعن الأحوال السياسية ، لا ذكر فيه للشعب ، ولا تصوير للجموع ، ولا عرض للحضارة ، مما يجعله مبتورا عملا ، لا يعلق بنفس ولا ينبض بحياة .

ولم يبسط هذا التاريخ متسلسلا حيا ، بوصفه تاريخ حياة لأقوام وأجيال عاشوا فعلا على هذه الأرض عيشة طبيعية في عصر من العصور ، حتى يشعر المصري المعاصر بما بينه وبين أجداده من وشائج القرابي وصلات الإحساس وروابط التفكير وعلاقات التقاليد ، فيحس حينئذ أنه امتداد لهؤلاء الأجداد ، وأن بينه وبينهم صلة من الدم ورباطة من الجلس وعلاقة من العادات ومثابه من الحياة على الرغم من الزمن الطويل السحيق .

والأهم التي تريد النهوض ولا تجرد لها ركيزة من الماضي تزور لها تاريخنا ، وتحاول أن تنفخ فيه روح الحياة . أو تتصيد لها أبطالا من كل نوع وتاتف حول ذكراهم ، لأن الحاضر والمستقبل يرتكزان على الماضي ارتكاز سوق النبات على جذوره . أما مصر الخالدة

التي عاملها التاريخ بسخاء عجيب ، فحفظ لها ماضيها خالدا ما تلا على مر الأجيال فلم تحاول أن تنتفع بهذه الميزة المفردة ، وكانت تكتفى من هذا الماضي كله بالفاظ جوفاء وصيحات فارغة ؛ وهي لاتعمل عملا جديا لإحياء هذا التاريخ .

وحيثما سار المصري الآن يجد مصر القديمة العريقة ماثلة في الآثار والتماثيل والكتابات والنقوش ، ماثلة في كثير من العادات والتقاليد والألفاظ والأسماء التي صانها الزمن من النسيان ، ونقلها خلال الأجيال الطويلة . ومع هذا لايفتح قلبه لسمع نداء هذه الأطياف السارية في مجاهل الأبد، وإنما يقف كالأبله أمام آثار أجداده ، بينما تهتف به أرواحها الحية وهو عن ندائها أصم !

والتاريخ القومي لايتطلب معرفته لمجرد المعرفة — على ما فيها من لذة ومتاع — ولكنه ضرورة وطنية وقومية واجتماعية . بل ضرورة شخصية في بعض الأحيان .

هو ضروري لطبع الناشئ حين يختلط بحسه ويمزج نفسه بطابع القومية الخاصة بشعبه وليشعره أنه فرع من دوحة قديمة ، فيه منها مشابه وله بها صلوات ، وليس حب الوطن إلا هذا الشعور المبهم العميق .

والفرد حين يحس هذا الإحساس تنمو في نفسه وجدانات التعاون والتواد بينه وبين المواطنين المتفرعين من دوحة قديمة لاتزال تبتغى منها الفروع والأفنان ، بينما جذورها وثيقة في التربة الخالدة وراء الأزمان .

وإنه يشعر بكثير من الغبطة حين يحس بامتداد أصله وتوثقه ، وبمقدار ما يشغله هذا الأصل من فراغ الدنيا وحلقات الزمان ، ثم تتسع نفسه حين يتفعل بالآف الحوادث والآف المواقف في تاريخه الطويل انفعال القرابة والمشاركة بين القريب والقريب ، فاذا هي نفس تلخص ملايين النفوس التي سبقتها على مسرح هذا الوطن العريق .

فالأعمال العظيمة ، ومواقف البطولة ، والحوادث الجسام ، والآمال والآلام ، وجميع ما حوته الأحقاب الطويلة من تاريخ الوطن ، إنما هي روافد لنفوس كل جيل ، وحوافز لمشاعر كل فرد ، وليس الغابرون في مسارب الزمن جيشا حامدة مسجاة في الأكفان مطمورة في الرمال ، وإنما هم ذوات حية ، يمكن أن تقع لهم معجزة البعث في كل لحظة ، فيتفضون شغوصا يشاركونا هذه الحياة الحاضرة ، وتلك المعجزة في عداد الممكنات ، طالما أن خيالنا مستطيع أن يطال على مسرح الماضي ، وأن يتفعل بحوادث التاريخ .

كيف تقع المعجزة ؟ كيف نبعث الموتى وننهض الماضي ونجسم التاريخ ؟

إن الزمن الذي عامل مصر بسخاء عجيب فحفظ لها آثارها وتاريخها ليجهل هذه المعجزة أمرها  
هينا ، فعلى مرأى منا ومسمع تطل مصر القديمة وتهتف ، وما علينا إلا أن نلقى بلنا إليها ،  
فتَمَّ المعجزة من أيسر طريق .

ومتحف الحضارة المصرية أحد الوسائل لوتوع المعجزة ولبعث التاريخ ، وقد اتبى  
القائمون على أمره من إعداد القسم الخاص بمصر الفرعونية ، وبدءوا القسم الخاص بالعهد  
القبلي ، وسيتبعونه بالأقسام الخاصة ببقية العهود إلى العصر الحديث .

وقيمة هذا المتحف أنه يرسم صورة كاملة لمسلسلة لمصر منذ أقدم الأجيال إلى اليوم ،  
فتبدو كأننا حيا متصل الأجزاء مرتبط الأعضاء ، ويعلم المصريون المعاصرون أن وطنهم  
خالد عميق في مجاهل الزمن ، وأن تاريخهم ليس منقطعاً ممزقاً كما هو في كتب التاريخ  
المشوه بأيدي التلاميذ .

إن مصر أعرق أمة في التاريخ ، وهي الأمة الوحيدة على ظهر الأرض التي عمرت أربعة  
آلاف عام متصلة ، تهضم كل من يدخلها من العناصر والجنسيات ، وتلون كل ثقافة وكل  
فلسفة ، إن مصر هذه بلديرة من أبنائها بهذا المتحف وبغيره من الجهود التي تصورها على  
حقيقتها لأبنائها الناشئين .

وإن مصر مربية العالم ، وهي الأمة التي آوت المشردين ، وابتلعت الفاتحين ، وهذبت  
المتوحشين ؛ واحتضنت الأديان ، واقححت الفلاسفات ، بلديرة بأن تبدو على حقيقتها  
في القرن العشرين .

وقد لقيت مصر في كثير من الأزمان ، من حاول أن يكذب عليها ويلصق الخرافات  
بها ، ولا تزال تلقى الآن مثل هذا الصنيع من الأجانب ومن بعض أبنائها المخدوعين وإن بعضهم  
لينشر في هذه الأيام أكاذيب بذينة من مصر القديمة وعن العنصر المصري يبدو فيها الغرض  
والجهل ، وهي في ذاتها تافهة لا تستحق الاهتمام ولكن بعض الصحف الأجنبية تلتقيها  
وتدعيها لأنها تنفق في الغرض مع الكائدين للوطنية المصرية ، فن حق مصر أن تصور  
التصوير الصحيح ، وهو وحده كفيل بدحض هذه الخزعبلات والأباطيل .

وإن كان لنا ما نقوله فهو أن نستعمل قيام "متحف الحضارة المصرية" بكل وسيلة  
وبكل طريق .

## الثروة الحيوانية الضائعة

مصر بلد زراعى ، فطبيعى أن تكون الثروة الحيوانية هى ثاى موارده العامة الأساسية ، على اعتبار أن الثروة الزراعية هى المورد الأول ، وليس هذا بدنا فى التكوين الاقتصادى للشعوب الزراعية . ، فيها هى ذى أمة صغيرة كالدانمرك لا يتجاوز سكانها ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون ولا تزيد مساحة أراضيها على ثلاثة وأربعين ألف كيلومتر مربع ، ثلاثة أرباعها أرض صالحة للزراعة أى نحو مليون فدان ومع ذلك أصبحت ثروتها الحيوانية منبعاً من منابع ثروتها وجزءاً هاماً من صادراتها ، ويكفى أن نذكر أرقام ما تملكه من الثروة الحيوانية لتظهر هذه الحقيقة .

فقد كانت تملك قبل الحرب ٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و ٢٠,٠٠٠ رأس من الأغنام و ٥,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الخنازير و ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ دجاجة ، ونحو نصف مليون حصان ، وبلغت صادراتها ما قيمته نحو خمسين مليوناً من الجنيهات أكثر من نصفها خاص بالثروة الحيوانية .

أما المملكة المصرية الخصبية الواسعة الأراضى فبعد أن كانت تصدر سنوياً نحو مائة ألف رطل من السمن ومقداراً معيناً من اللبن والجلود ، تدهورت هذه الصادرات الضئيلة وأصبحت تستورد بمبالغ ضخمة من المنتجات الحيوانية كل عام . فهى مثلاً كانت قبل الحرب تستورد أغناماً بما قيمته ٨٠,٠٠٠ جنيه و ماشية وجاموساً بمبلغ ٧٠,٠٠٠ جنيه وجمالاً بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه و دجاجاً وطيوراً بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه و لحوماً بمبلغ ٥٢,٠٠٠ جنيه ومنتجات ألبان بمبلغ ٣١٠,٥٠٠ جنيه وسماداً كيمياوياً ( يمكن الاستغناء عن جزء كبير منه بالسماد الحيوانى لوتوار ) بما يزيد على مليونين من الجنيهات .

ومعنى هذا أن مصر البلد الزراعى لا يكفى نفسه من المنتجات الحيوانية ، ودع عنك ما كان يجب أن يصدره كما تصنع البلاد الزراعية الأخرى وفى مقدمتها الدانمرك و استراليا .

وأهم الأسباب لهذه الحالة قلة عنايتنا بتربية الحيوانات مع أنها — على قوتها الآن — تكون جزءاً مهماً من ثروتنا القومية يبلغ حوالى خمسة عشر مليوناً من الجنيهات ، فلو عينا بها عناية البلاد الزراعية فأكثرنا من عددها ، واخترنا أنواعها ، وحفظناها بالأمين عليها ، لازدادت هذه الأرقام أضغافاً كثيرة .

وقد دارت بحوث كثيرة حول إنشاء المراعى لتربية الأغنام ، كما اعتمد مبلغ ضخم لتحسين نسل الجاموس ، وكثرت الاقتراحات حول الأمين على المشاية ، ولكن هذه المشروعات جميعا تسير ببطء شديد ، ولا تلقى الاهتمام الذى يتناسب مع قيمتها الحقيقية ، بل لقد اتخذت المجالات الهزلية من مشروع تحسين نسل الجاموس مادة للفكاهة والسخرية ، لأن " النكتة " عندنا أهم من كل مشروع عملى !

ولسنا ننوى أن نتحدث عن هذه المشروعات ؛ إنما نغنى أن نقول : إننا نضع حتى الثروة الحيوانية الضئيلة الموجودة فى أيدينا الآن ، لأننا نستخدمها إسوا استخدام ، ولا نحاول أن ننتفع بالوسائل الحديثة فى تميمتها واستغلالها ونضرب على ذلك الأمثال .



١ — فاللبن — وهو المادة الحيوانية الأولى — لا نغنى بتربية الأنواع التى تدر أكبر كمية منه وأجود نوع يحتوى على قدر كبير من المواد الدهنية والجزيرة ، مع أن تكاليف البقرة أو الجاموسة الحلوب تساوى تكاليف مثيلتها غير الحلوب أو القليلة اللبن ، أو ذات الحليب المائى القليل الدهن والكلسيوم . ذلك أن الفلاح يعتمد على خبرته المحدودة فى استقاء ماشيته ، وكثيرا ما تؤدي نظرتة الأولى عند الشراء إلى عكس ما يظن ، لأن اعتاده كله على تقدير حجم الضرع ، وقد يكون هذا الحجم شحا وعضلات لا تدر اللبن .

ثم إن معظم الأنواع الموجودة فى مصر قليلة اللبن على العموم وريئة إذا قيست بالأنواع الممتازة فى البلاد الزراعية الأخرى ، وعملية تحسين النسل وتهجين الأنواع الممتازة حتى تعيش فى البيئة المصرية هى التى تحقق لنا كثرة الإدرار وجودة الألبان .

على أن اللبن الذى تدره المشاية — وهو قليل نسيبا — نستخدمه بصورة أولية ساذجة فالفلاحة هى التى تتولى ذلك عادة بصفة فردية ، وترقد اللبن أو تخضه لتحصل على القشدة والزبدة وتصنع الباقى جبنة رديئة ، أو هى تبيع اللبن للتناول بمن نجس ، وفى كلتا الحالتين تضيع الفرصة التى تنتج من هذا اللبن أنواعا ممتازة من اللبن أو كمية كبيرة من القشدة والزبد .

ولو أن خريجي المعاهد الزراعية عنوا باستخدام علمهم وثقافتهم فى ميدان العمل الحر ولم يتمسكوا بالوظائف الحكومية التافهة ، لاستطاعوا أن يجمعوا هذا اللبن من الريف بطريقة منتظمة ، ويقوموا باستغلاله استغلالا مفيدا ولعماد ذلك على الفلاحين المساكين بالخير اذ ترتفع قيمة ألبانهم وتصبح موردا حقيقيا لأرزاقهم .

٢ - والفضلات الحيوانية ، وهي مادة سماد جيد كانت تعتمد عليها مصر اعتقادا حقيقيا في الزراعة قبل ربع قرن ، ولكننا نستخدمها في أقل الوجود نفما حين تستعمل وقودا في الريف ، فهي أولا لا تنشي طاقة قوية من الحرارة ، وهي ثانيا تذهب ضياعا فلا تنشي سمادا عضويا ثمينا .

والسبب في هذا راجع الى جهل الفلاح وفتقره ، والى قلة مواد الوقود العامة ، فأما الجهل فهو الذي يجعله يفتق هذه الفضلات في الوقود ثم يشتري بمد ذلك السماد الكيماوى بأعلى الأسعار ، وأما الفقر فهو الذي يجعله عاجزا عن شراء مواد الوقود الأخرى كالقحم والخشب مع حاجته للدفع في الشتاء بسبب خفة ملابسه وللووقود في انضاج الخبز والطعام بوسائله الساذجة ، وأما قلة مواد الوقود فناتئة عن عدم عنايتنا بزراعة الأشجار الخشبية التي تسد مسد الفضلات الحيوانية ، وتنشي طاقة أكبر وحرارة أعلى ، فضلا على فوائدها للصناعات الأخرى الكثيرة .

٣ - والصوف والشعر والوبر هي آخر ما نشكر فيه عند تربية الأغنام والماعز والجمال وذلك وضع مقلوب ، فالسبب الأول تربية الأغنام في انجلترا مثلا هو الصوف ، والسبب الأول لاقتناء الماعز في تركيا وفي بعض البلاد الروسية هو الشعر ، وكذلك الجمال ذات الوبر الطويل في البلاد العربية وبعض البلاد الأمريكية .

إنما نعني نحن نارة بنتاج اللحم ونارة بنتاج اللبن في تربيتنا للحيوانات ، وهذان الغرضان يمكن توافرها مع العناية بنتاج الصوف والشعر والوبر ، وذلك بتجهيز بعض الأنواع الممتازة وأقلمتها في الأقاليم المصرية المناسبة لها .

ومع أن معظم الأصواف ردىء في الأغنام التي تعيش في مصر وقليل الكمية فقد وجدت صناعة متشرة تقوم على غزل هذا الصوف بالطريقة الأولية الساذجة على المغزل اليدوى ، وتسجها على المنوال الرينى ، ووجدت كذلك صناعة السجاد والأكلمة من نفايات الصوف أو رديشه ، فلو توافر الصوف الجيد والكميات الكبيرة لارتقت صناعته ، وأصبحت من موارد الثروة في البلاد .

٤ - وكذلك الجلود ، فقد كانت مصر الى عهد قريب لا تعنى بسلخها ، فكانت تتمزق على أيدي القضاين الجهلاء ، وأخيرا تقرر ألا يسمح بعملية السلخ في المحازر العامة إلا لجماعة من المهرة بحيث تخرج الجلود سليمة .

ولكن عملية الدبغ لم تصل بعد الى درجة الجودة ، وكثير من الجلود يصدر خاما الى الخارج بثمن بخس ، ثم يعود إلينا مدبرغا بثمن مرتفع ، أو يعود أحذية مصنوعة بأثمان عالية .

ولو عيننا بعملية الدبغ كما عيننا بعملية الساخ لكانت هذه الجلود مورد ثروة ، ولاشتغل بها عدد من الأيدي المتعطلة ، ولكفتنا مؤونة الاستيراد وصعوباته في مثل هذه الظروف .

على أن نفايات الجلود المتخلفة من الدباغة تصاح لأشياء كثيرة ، والمدايخ القائمة في مصر الآن وهي في أيدي الأجانب تستخدم هذه النفايات استخداما يدر قسطا من المال !

٥ — أما اللحوم ، وهي التي نعني بها أول ما نعني في تربية الماشية والأغنام — فنحن ناكلها طازجة دائما ولا نحاول أن نجعلها لحوما محفوظة نستفي بها عما نستورده من هذه الأنواع وقيمته تبلغ نحو خمسين ألف جنيه في العام .

والسبب في هذا هو قلة ماشية اللحم في مصر نسبيا ، إذ أنها تستورد أعدادا كبيرة منها كل عام — وهو ما يؤسف له — ثم قلة الاستعدادات الصناعية لهذه العملية ، كما هو الحال في الدنمارك وأستراليا . ولو وجدت صناعة اللحوم المحفوظة لكانت مادة ارتفاق لعدد من المتعطلين من ناحية ، ولكفتنا مؤونة الاستيراد ، إن لم نصدر للبلاد المجاورة من ناحية أخرى .

٦ — ثم تأتي مسألة مهمة وهو استخدام الجهد البدني لحيوانات اللبن واللحم . هذا الاستخدام الذي يكون سببا في هزالها وقلة إدرارها أو انقطاعه .

والواقع أن هذا الاستخدام هو أشد الوسائل خسارة في الاستغلال . فالفلاح يستخدم البقرة أو الجاموسة في حرث الأرض بالمحراث والرى بالساقية وفي درس المحصول بالنروج وإلى عهد قريب جدا كان يستخدمها في طحن الحنطة والذرة في مطاحن ثقيلة رديئة .

ولم ينقذ الماشية من هذه المطاحن إلا توافر المطاحن الآلية ورخص أجورها . فلو أمكن أن تتوافر آلات الحرث والرى والدرس كما توافرت آلات الطحن ، لأنقذت الماشية من هذا العذاب أولا ، ولزاد إدرارها ولحومها ثانيا .

والفلاح المصري الفقير معذور في استخدام الجهد البدني للماشية على هذا النحو الخاسر لأن فقره يحول بينه وبين استخدام الآلات الزراعية الحديثة ، ولكن لو انتشرت حركة التعاون لانتفت حاجته إلى استخدام الماشية ، ولأصبح قادرا على استخدام الآلة . فبالمزرعة التعاونية تستطيع أن تشتري الآلات اللازمة بمن مقسط وموزع على الجميع بحيث لا يشعرون بثقل وطأته وتأثيره في مقدراتهم المالية .

وهذه ناحية من أهم النواحي في توفير الثروة الحيوانية ، وفي التقدم الزراعي أيضا ، وإنه لمن المحزن أن ينظر الإنسان إلى الرسوم والنموش التي حفظها التاريخ لوسائل الزراعة في مصر

منذ أربعة آلاف سنة ، فإرها لا تزال تعيش حتى اليوم ، ولا تزال الطرق القديمة هي نفس الطرق المستعملة في القرن العشرين .

ولا يكاد يوجد بلد زراعى آخر في العالم المتحضر يستخدم هذه الوسائل الساذجة إلا مصر وقد آن أن ترتقى هذه الوسائل وتتم قول ، ولا سيما إذا كانت الخسارة في استخدامها على النحو الحالى محققة فوق ما هي منزوية .

والأمل الوحيد القريب هو انتشار حركة التعاون — كما أسلفنا — لإمكان استخدام الآلات في المزارع التعاونية بدل المشاية المسكينة .

٧ — بقيت الأسماك والطيور والأرانب ، وهي من الثروة الحيوانية ، على الوجه الأعم ، فأما الأسماك فحصولها قليل جدا بالقياس إلى طول الشواطئ المصرية البحرية والنهرية ، وذلك راجع إلى عدم تنظيم هذه المصايد واستغلالها بالطرق الحديثة كما صنعت بعض الشركات الأجنبية التي تولت استغلال المصايد المصرية . وما تزال وسائل الصيد الأولية هي العالبة في استغلال المصريين .

فيجب أن تجدد هذه الصناعة ما يناسبها من العناية فلقد كانت بعض الشركات الأجنبية تكسب في العام نحو نصف مليون من الجنيهات من هذه الصناعة ، ويمكن مضاعفة هذا المبلغ إذا عتينا بجميع المصايد وإذا استغلها المصريون بدل الشركات الأجنبية ومعظمها كان من الطليان .

على أن صناعة الصيد ليست هي الصناعة الوحيدة ، فهناك صناعات كثيرة تنشأ حول المصايد ، كصناعة الأزرار الصدفية من عظام الأسماك وصناعة الأسماك المحفوظة التي كنا نستوردها بألوف الجنيهات .

وكل هذا يستغرق ألوقا من الأيادي العاملة ، ويفتح ألوقا من أبواب الرزق التي توصل في وجوه المصريين ، وتفتح للأجانب فيثرون في سنوات معدودات ونحن غافلون !

وأما الطيور فعددتها قليل جدا بالقياس إلى ما يجب أن يكون في مصر ، وتبعاً لهذا كان مدد البيض قليلا كذلك ومرتفع الثمن نسبيا ، ولحوم الطيور وبيضها من الأغذية الجيدة المفيدة .

فيجب أن نغنى أولا بكثرة التفريخ ، وثانيا بجمود الأنواع ، وثالثا بقدرتها على الإنتاج فهناك أنواع من الدجاج تبيض الواحدة منها نحو مائى بيضة في العام من نوع جيد كفراخ "البلهورن" مثلا وهي تعيش في مصر. وهناك أنواع تنتج كمية ضخمة من اللحم

كالنوع المسمى " بالهندي " فيحسن أن نكثر من هذه الأنواع الممتازة التي تصبح مورد رزق لصغار الفلاحين ومادة غذاء للمستهلكين جميعا .

ومثل هذا يقال عن الأرناب ، وقد شادت في إحدى المعارض أنواعا يزن الواحد منها نحو خمسة عشر رطلا ، ويولد في العام مرتين أو ثلاثا . فهذه الأنواع يجب تكثيرها ولو بتوزيعها بالجمان أو بأمان قليلة على الفلاحين الفقراء الذين يزيد تنمية مواردهم الضئيلة بوسائل مناسبة لبيئتهم .



إن أمانا وسائل كثيرة تبدو في ظاهرها صغيرة أو قليلة الأهمية ، ولكنها ذات أثر كبير في تنمية الزروة القومية العامة ، وفي رفع مستوى حياة الفقراء خاصة ، فالبيت الريفي الذي تقطنه بقرة أو زوج من الأغنام أو الماعز ، أو عدد من الطيور والأرناب ، هو بيت يمكن أن يتمتع برخاء نسبي وتغذية مناسبة ، ويشارك في الوقت ذاته في تنمية الزروة العامة للبلاد .

وإذا كنا سننتظر المشروعات الاقتصادية الكبرى لرفع المستوى الشعبي فإنا ننتظر طويلا ولا شك ، ولكنها نستطيع أن نأخذ بأصغر المشروعات وأقلها ضخامة وضجة فتدر في مجموعها ما لا تدره المشروعات الضخمة المحتاجة إلى الزمن الطويل والمال الكثير .

والأثرياء وأصحاب الضياع الواسعة يمكن أن يكونوا قدوة لصغار الفلاحين في حسن استغلال الزروة الحيوانية. فهم يستطيعون بلا مشقة أن يستخدموا الآلات بدل الحيوانات ، ويستطيعون أن يستغلوا الألبان والأصواف استغلالا متظلا على الطرق الحديثة وبذلك يزيدون ثروتهم ، ويكونون قدوة لسواهم .

ولو أن هؤلاء الأثرياء استحضروا بعض الآلات الزراعية ليستخدموها في أراضيهم ويؤجروها لصغار الزراع بأجر مناسب لأقبل هؤلاء على الانتفاع بها ، كما أقبلوا من قبل على المطاحن التجارية في الريف بعد أن كانوا يستخدمون الحيوانات في عملية الطحن .

والتعاون كما قلنا خير وسيلة للتقدم في استخدام الآلات . وتستطيع السلطات أن تفرضه فرضا في بعض الحالات إذا رأت أن تركه اختياريا لا يفيد ، فالمصلحة العامة حينئذ خير من أهواء الأفراد الجهلاء .

## الشباب المصري

وأحلام المستقبل

بين حقائق الحاضر

للاستاذ صلاح الدين الشريف المحامى

الشباب ! ...

آية لفظة حلوة الرنين أخاذة النغم ، تموج في قلوبنا موج السحر ، وتختلج لها أفئدتنا وجوارحنا اختلاجة الرجاء والفرح ، كلما عطفتنا الحديث نحو الشباب ، أو مالت بالكهول عاطفة التصابي إلى أحاديث القاب ونفثات الوجدان . إنها حيا الشباب تلهبنا بسمار من قوى الحياة الدافقة بالحياة والأمل ، فتبعثنا على أن نتنور طريقا للني والطموح والمجد ، موصولا بأفق وردى يفيض أبدا بالانفأول والعزم والحركة ، مشبعا أبدا بالعاطفة والحماسة والتجوى ، ذلك الأفق ، هو أفق الشباب .

فالشباب هو الحياة والاندفاع والوثبة ، هو القوى الخلاقة لأهداف الانسانية ومثل الحياة ، هو امرأة مجلوبة براءة تمكس للحاضر والمستقبل صور القلب القتي والغريزة المشبوبة ، وهو بعد الوسط الذهبي بين الحلم المسرف في خياله ، والواقع المدلل بوجوده وإيمانه .

عل أن الشباب في اندفاعه وتوثبه ليس يأمن عشرة السن ، وهو في فيض من حماسه اللاصقة بطبعه ، تتلوى عليه مسالك التجربة . وإذا كان يرنو حقا للحياة الراكضة المتطورة فما أجدره أن يكون رمزها الحمى المهنذب ، وفضيلتها المطبوعة على براءة الهوى والغرض . ولكن تكمل أوصافه هذه ، ويعتق غاية الحياة فيه ، لا مهرب له من أن يربأ بنفسه عن كبرياء الجحوش والدنعة ، فيجذر غرور المغالاة في كل ما يزينه له خياله الوثاب ، حتى لا يشوه عايه رسالته ، أو يرجع به القهقري ليصدمه في إيمانه بنفسه وثقته بصوابه في كل ما ينتقده ويراه .

لا بد للشباب من أن يكون وثابا ، ولكن في وداعة وحكمة فيهدى وحرام عليه أن لا يجمل النهوض غايته ، ولكن في هدوء واستقرار فينجح ، وأقن به أن يكون حل مثالية محلقة تصوره مذهب ومبادئه ، ولكن في ثقة وإيمان فيفلح . أما اندفاع الاضطراب

والترق ، أما وثبة القلق والحيرة ، فهي ضلال لمدفه ، وطمس لمثله ، وبعثرة لقواه ،  
وتشكيك لإيمانه في قيمتي الصبر والوقت .

والحق أن توفيق الشباب وتفائله واستقراره كما أن إخفاقه وحيرته وضلاله ، لا شك  
راجع الى حالة بيئاته التي يتخلق فيها ويتكوّن ، الى حالة المنزل والمدرسة والمجتمع ، فكل  
منها له توجيهه وأثره ، ولكل منها أسلوبه وطابعه ، وهو طابع تتكيف به الحياة التي يحياها  
وتظهر به حالة مجتمعه وعصره مكشوفة عارية أمام عينيه .

أما المنزل ، فماذا أقول عن حالته عندنا ؟ أرضيننا تلك الوح المتفككة المستهترّة ،  
التي تعبت بحرمته وهو خلية المجتمع ؟ أم لا يلج بنا الأسف عندما نفتقد رباط التضامن  
الذي يجمع بين أفرادهم ويؤلف بين رب البيت وأبنائه ، فلا نجده ولا نرى له من أثر ؟ أو  
نسبنا أن هذه البيئته هي معمل الإيجاد ومصنع الخلق ، هي التي تمد الدولة بأبنائها وحماها ،  
وتهب الأمة نساءها ورجالها ؟

أصدقوني القول بربكم ! هل شتمت بين جمهور الآباء عندنا من يعرف الأبناء حق الحياة ،  
الحياة الفرحة الفياضة بالأخاء والرد ، يتبادلون فيها أحمل مشاعر الأبوة والبنوة ، وهي بلمس  
الحياة وإكسیر العمر . إنك لن تجد في هؤلاء الآباء غير أحد رجلين ، إما رجل غلب على طبيعته  
التصنع المقنوع والتكلف المسرف في كل شيء ، فوضع حواجز انزكرو وفوارق السن حائلا  
بينه وبين أبنائه ، فلا يرضى تفاهما معهم ولا يزن لهم رأيا ، ولكم باج في تكلفه وتصنعه ،  
حتى ليصبح في واد غير واديهم وحياة غير حياتهم ، فيفقد البيت انسجامه ، وتتداول الحياة  
فيه مبركة صامتة مكتوبة ، بين حفاظ متصنع يبغي الكبت والضغط ، وتوشب فتى يريد  
الفكاك من أسر الجمود والضغط ، وبهذا الوضع المعكوس وهذه العقلية المتكئة يفقد البيت  
تآلفه وانسجامه ، ويفقد الآباء والأبناء مشاعر التماطف والتفاهم بينهم . ومن هنا تغش  
تجارب التربية ، ومن هنا تتألف عناصر المساة الى تروع الأسرة ، وتتمثل لها في تمرد  
الأبناء ، وإخفاقهم وضلال مسلكهم .

أما الصنف الثاني ، أما الطراز الآخر من الآباء ، فهو على نقيض الطريق الأول ، وله  
طابع يغير ما طبع عليه مبالغة في اللين والضعف ، ماذا أقول ، بل في الاستخذاء الذي ينافي  
حزم الرجولة والتراجع الذي يهدم معنى السيطرة . وأقصد بالسيطرة حق الهيمنة الذي للأب  
على شؤون بيته صغيرها وكبيرها ، يصدر في ذلك عن إحساس بالمسؤولية وتقدير لخطورة  
الدور الذي يمثله في الحياة ، فهي إذن سيطرة رشيدة حازمة لا تعرف في الأخذ بمحققها أطنيانا  
ولا إسرافا .

لم يبق إذن غير حل وسط أو منزلة بين مرتزتين ، فلا إسراف في الضمط والقسوة ولا مبالغة في اللين والضعف .

وما أجهل أن يرى الأب في أبنائه أصدقاءه وخلانته ، يجرب معهم معاني الصداقة الحقة ، صداقة النصح والثقة والصراحة ، لاصداقة التكلف والمداع والتفريغ . صداقة التفاهم والاحترام والمحبة ، لاصداقة الرياء والتلويح والفرص . بهذه الصداقة التي يعتمد الأب الحكيم وأصرها مع أبنائه ، يتأزر معهم على تخليقهم وتوجيههم على إشعارهم معنى الرجولة رجولة المسئوليات والتضحيات وحمل الأعباء ، رجولة تنهم لنفسها حقها وللأسرة التي خلقها حقها ، وللوطن منبهما جميعا ، حقه بل ضريته .

ولكن هذا الحلم ، بل هذه المعجزة ، كيف نحققها ونمهد لظهورها السبيل . سبلها هو الآباء ووسيلتها هي الآباء والمعين عليها هم الآباء . ثم يأتي بعدهم أساتذة معاهدهم العلمية ثم سياسيو الأمة وقادتها .

لا مفر للأب من أن يكون قدوة لابنه وأسوة ، عليه أن يصنع من نفسه النموذج الحى الكامل أو الشبيه بالكامل ، عليه أن ينادى عن كل ما يهبط به في محضر من أولاده ، فالآباء هم الأهداف التي تتجه إليها أنظار الأبناء في مراحل تكويرهم الأولى ، وهذه الأراحل هي من البناء بمثابة الأساس ، وإذا رأيتم شبابا قد غلبت عليهم نزواتهم وضلوا عن سبيلهم ، فلا تسارعوا بصمب جام السخط والغضب عليهم وحدهم ، بل فتشوا عن حال الآباء وسياسة الآباء وعقلية الآباء ، تعرفوا السبب وينة صمكم العجب ، أنا لا أتصور أن رجلا يقضى كل أوقات الفراغ في مقهى عام أو في أى مكان آخر ، بعيدا عن بيئته وأسرته ، لا يعرف من حلمه وأوردهم أكثر مما يعرفه عن الأسرة ، أى والله أجنبي عنها ، كأن الأمر لا يعنيه هو بل يعنى شخصا غيره ، لا أفهم منه ولا من مثله أن يخرج للأمة رجلا أو يبنى للمجتمع أسرة ، إن أوقات هذه المقاهى لأحق بها بيته ، لأولى بها أبنائه ، وكم ينجلى أن أقول إن الغربي يعطينا في هذه الناحية أجهل الأمثال ، فلكم كونت أحاديث المدفأة وتلك المشاركات الجدانية والعقلية التي وجدت جوها النقي في حجرات الجلوس ، رجلا وأبطلا ساسوا الأمم وقادوا الجيوش أولئك رجال قدروا معنى الأسرة ، بل قدروا الأبوة قدرها ، ومثلوا بصدق دورها .

أما المدرسة عندنا ، فهي لا تنقل عن الأسرة أثرا في توجيه الشباب ، غير أن التوجيه السليم ما زال يوزعها ، إذ لا بد لها أن تكون قطعة نابضة من الحياة ، صورة مصغرة من المجتمع ، مصنعا مكتمل العدة ليهدب ما فات الأسرة أن تهذب ، ويصلح من وجهة الفن ، ما فوق مقدور الآباء ذوى الثقافة المحدودة أن يصلحوه .

اننى لا أنكر أن برامج الدراسة في المدرسة والجامعة قد تهذبت كثيرا عن ذى قبل غير أنه يؤسفنى أن عناصر التربية الاستقلالية لم تتحقق في برامجها بعد . نحن لا نريد نسخا مكررة من كتب عندنا من أبناء الكثير ، لا نريد صوراً متلدة وآلات حاكية لا تعرف غير أن تتحرك بوحى من غيرها وضغط ممن يملكون السيطرة عليها ، بل نريد مع التوجيه الرشيد والثقة بالدم ، دربة عمياء واسعة على فهم الحق والواجب . فلاب الثقافة الحقة هو الذى يفرس في النفس المثل ثم يعفز العقل الى أن يهتدى الى طريقة تحقيق المثل . وهنا يلعب التلقين وتلعب القدوة دورا لا يقل عن دور الاب في الاسرة .

يجب أن تتصرف قواعد التربية عندنا الى خلق هذه القدوة الماقنة ، بل هذه الأسوة الصادقة في أبحاثها المتحمسة في تأدية رسالتها ، لنهذى بها دولة الاخلاق والعلم ، ويؤسفنى أن أقول ، إن كلامنا ما زال في دور التكون عندنا ولكننا اذا حققنا هذا ، وسنحققه فسوف يكون لشبابنا من علمه وعمله ما يحقق لاوطن مكانه اللائق به في عيط الثقافة العاليه والتضامن العالمى .

إننى لو أجملت واجبات الشاب المصرى ، لحصرتها في ثلاثة ، أولا وجدانى محض شخصى ، وثانيا وثالثها اجتماعى .

فاما الواجب الوجدانى أو إن شئت المعنوى ، فهو أن يؤمن الشاب بمقدسات ومثل يهتدى بها الى معنى الحياة ، معنى الوجود في مجتمع . وأى قداسة أقدس من محبة الوطن بل أى حق أروع أو أجمل من حق الوطن على شيا به وأبنائه ، إن هذه الأمم التى تتصارع حولنا في معركة الحياة والموت وتضرب لنا أعلى الأمثال في بذلها وفدائها لأوطانها ، توحى إلينا كيف فهم أبنائها حق الوطن المفقدى الذى تقاضاه منهم مهجا ودماء في أوقات الحروب وعقولا وعزائم وأعمالا في أزمنة السلم ، ولن يقل شبابنا عن هؤلاء إيمانا بحق الوطن عليه في كلا الحرب والسلم . ولعل أجل خدمة يؤديها إليه أن يصدق في كل علم يحصله وفي كل عمل ياتيه وفي كل قول يأخذ الناس به ، فإن الأوطان بأخلاق وأعمال ولم تنعم الأوطان يوما على أوهام وأقوال .

أما الواجب الشخصى فهو أن يعرف بحق أن لبدنه عليه حقا . فلا يهدر قوى جسمه وعقله ، وليحذر تلك الزعة المريضة للنكسة المتوهمة ، التى تصور له فترة الشباب فترة للتعلة والاستباحة والموى الآثم والسدور في فتاء اللبانات . فلكم حطمت تلك الزعة من أجسام زاهرة ، ولكم أطفأت من عقول فتية ، ولكم أوقعت الشباب أسرى عادات مستتبجة وكنيته بقيود الرذائل والآثام ، فتحللت معنويته وتصاغرت طمحاته واستخذى لسلطان الشهوات .

إن واجبنا جميعاً أن نساعد الشباب على أن ينتج أقصى ما يمكن له إنتاجه ، بأن نسبل له الوصول إلى حالة جسمية كاملة . علينا أن نتخذ من الألعاب الرياضية دعامة من أرسخ الدعامات التي تتمر بها المدرسة في سبيل التربية الصادقة ، وأن نعنى بها ، لا كإداة ثانوية أو سبب للهو وتزجية أوقات الفراغ ، بل كغاية رئيسية ووسيلة . مثل اتصال التربية الحقة بأهدافها وأغراضها ، تلك التربية التي تعلم الشباب كيف يتحمل المصاعب ويتقبل صدمات الحياة ، دون تضرر أو شكوى ، ودون تراجع أو استرخاء .

ويبقى عليه الواجب الاجتماعي ، واجب المساهمة في تحصيل الخير للمجتمع وأفراد المجتمع فعلى الشاب أن يشعر بأن فرديته لا تغنيه ولا تجديه إذا انزوى عن الحياة وأثر الاعتزال ، فالعزلة مفزع الضعيف وملجأ الشخصية المريضة المتحائلة التي تمثل الشلل في جسم الحياة . عليه أن يساهم بقواه في شتى مناحي الحياة في أمته ، فيأخذ بيد التوجيهات الاجتماعية المتعددة ، من حرب للأمية ومقاومة للأمراض الجسمية والخلقية ، وتحطيم لأصنام البدع والضلالات . وفي هدى هذه الواجبات الثلاثة ، يعرف الشباب كيف يقضى أوقات فراغه . وأوقات الفراغ مشكلة المشاكل في تربية الشباب . . .

أما بعد ، فلتفكروا يا قادة الأمة ويا ولاة أمرها ويا آباء الأبناء ويا أساتذة الطلبة ، فكروا جميعاً في شباب مصر ، وتبينوا نجواتهم واستشعروا آلامهم ، وتساندوا جميعاً في رعاية الشباب ، ولتكونوا منه أساتذة مثقفين وجنوداً جاملين لخدمة الوطن .

صلاح الدين الشريف  
الحامى

#### أقوال مأثورة

- لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه .
- النوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء .

## الأسرة السعيدة

بقلم الكاتبة

زينب محمد حسين

لم تزل أغاب أسراتنا المعصرية المثقفة رغم تقدمها الظاهر ورقى مستواها تفتقر إلى الإمام ببعض النقط الجوهرية الحساسة التي تجعل سعادتها دائمة بدوام وجودها . فكثيرا ما نسمع أو نقرأ عن سيدات قد فقدن بمرور الزمن محبة أزواجهن لمن ، وإلحاحهن في التساؤل عما يفعله لاستعادة سعادتهن الزائلة . أو عن رجال يشكون نفس الشكوى . وقد ترى زوجين في مستهل حياتهما الزوجية وفي غمرة سعادتهما قد ركبهما الوهم ، وتسلط عليهما شيطان الوسواس ، فهما في خوف دائم وقلق مستمر ، يترقعان الشقاء . فيكون هذا الشك نفسه عاملا قويا في تقويض سعادتهما وفشل شركتهما من حيث لا يدريان .

ومن تلك الأسباب وغيرها وجب علينا أن نجث في علة تلك العوامل التي تسبب فشل معظم حالات الزواج الموفق كي نحقق وجود الأسرة السعيدة التي حى ألزم ما تكون للأهم . ورغم كل تلك العقبات التي يتوهمها المرء في الحصول على السعادة الزوجية ، فالسعادة قد تكون في تناول كل من يريد ، إذا أمكنه أن يعرف حقائقها ومسبباتها ، فيلم بتلك المسببات ويعتمد عما يشوه تلك الحقائق .

فأول ما يجب أن تأخذ به الأسرة السعيدة هو الهدوء المنزلي . ولو أننا لمنا ما للهدوء المنزلي من أثر فعال في حياة الأسرة ، لأدركنا قيمته الجوهرية بالنسبة إليها .

فملا شك فيه أن لجو الهادئ سحرا عجبيا يؤثر في النفس الحساسة ويبعث إليها الراحة والاطمئنان ، ويجعل صاحبها رقيقا مبالا إلى الدعة والمسالمة حتى وإن كان خشن الطبع عسبي المزاج .

وقد أجمع علماء النفس على أن الجو الهادئ والموسيقى هما أعظم علاج لذوى الأعصاب النائرة ، وهذه نظرية واضحة لا تحتاج إلى ما يشبهها . فالأعصاب النائرة إما أن تكون لشخص مريض النفس أو مريض الجسد ، فريض النفس قد ورث حالته النفسية من الوسط الذي نشأ في محيطه ، فإذا كان قد شب في وسط صاحب مليء بالضوضاء ، أو بين

أبوين مبالغين للزراع والثورات المنزلية فهو ولا شك متخلق بأخلاقهما بحكم احتكاكه الدائم بهما ، ومحاكماته لهما إبان طفولته ، فتضطرب أعصابه بحكم تلك المؤثرات الزبوية . وإذا كان قد نشأ في بيت مليء بالمأسى والأحزان ، فهو دائما منقبض النفس حزين الفؤاد . ولا حاجة بنا إلى القول بأن مثل هذا الشخص في أشد حاجة إلى الجو الهادئ الذي يتمثل في محيط الأسرة ، وكذلك في رؤية المناظر الطبيعية الساحرة وسماع الموسيقى الهادئة ، لأن أي صخب من شأنه أن يحطم ما بقي من قوة أعصابه المضطربة .

وكذلك مريض الجسد الذي يشكو مرضا داخليا كضعف القلب وفقر الدم واضطراب المعدة ، وبنوع خاص ذوو الرئة الذين يجعلهم المرض يتنفسون بضيق . فتثيرهم أبسط الحركات وتزيد من علتهم ، فيؤثر المرض الجسدي على النفس وتتاثر بذلك الأعصاب . ومن ذلك يتبين لنا ما للهدوء المنزلي من عظيم الفائدة في جو الأسرة .

وليس الهدوء المنزلي معناه أن يسود المنزل سكون مخيف فيبدو رهيبا كالبور ؛ ولكنه تلك السكينة الرقيقة البعيدة عن كل ما يثير الأعصاب . وتلك اليقظة الحاملة التي تشمل جو المنزل فتكاد نامسها في انسجام ألوان الأثاث وحسن تنسيقه ، وفي أناقة الزوجة ورفقة أحاديثها وتمساج ألوان ثيابها ، وفي هدوء الأطفال ووداعتهم ونظافة الخدم ونشاطهم وفي روح التألف والترابط بين جميع أفراد الأسرة والتعاون بينهم .

ولا يمكن أن يتوافر ذلك في المنزل إلا إذا كانت ربه من ذوات الذوق الفنى فيمكنها أن تخلع على منزلها من ذوقها أجمل الورد وأقربها إلى إعجاب زوجها ومحبهه ، فيبدو منزلا مزدهرا في هدوء ، أنيقا في رقة حتى وإن كان متواضعا قليل الأثاث .

ويمكننا أن ندرك ما لانزل الهادئ الأنيسق من أثر في النفس إذا ما سألتنا أنفسنا عن السر في شعورنا بالارتياح والاطمئنان إذا دخلنا منزلا ، ونفورنا واشمئزازنا من منزل آخر ولو كان ذلك الأخير قد حوى من صنوف الترف والبذخ ألوانا .

إن هذا التفاوت نفسه خير برهان على شدة حاجتنا إلى الهدوء المنزلي الذي يخلفه الذوق في البيت السعيد .

وإن كنا قد تكلمنا عن الهدوء المنزلي بكل هذا الإسهاب فيجب ألا نغفل عن ذكر عامل آخر مهماته من حيث الأهمية وهو كيفية استغلال أوقات الفراغ .

فنحن حتى الآن لم نتجح تقريبا في استغلال أوقات فراغنا ، مع أن الغربيين قد وصلوا في ذلك إلى أبعد حدود النجاح . فهم يقصدون يوم ( الويك إند ) ويتناورونه بلهفة وشوق

حتى إذا ما حل ذلك اليوم خرجوا جميعا لاستقباله ، فيخرج بعضهم إلى الريف حيث الطبيعة في أبهى حالها ، حاملين ماخف حمله من مأكولات وآلات موسيقية ، ويمضونه يوما جميلا بين مسرح ورقص وغناء . . . ملتين عن كواهلهم أعباء الحياة ومظاهرها الكاذبة ، فيستعيدون بذلك الأمل والنشاط إلى نفوسهم ، فاذا جاء الأسبوع الجديد استقبلوه بروح نشيطة ، ونفس متوثبة ، ووجوه عامرة بالبشر والسعادة .

وايست هذه هي الوسيلة الوحيدة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندهم ، فهم أيضا يذهبون إلى المسارح ودور الكتب والأندية الرياضية وغيرها من مختلف المسليات التي تجتمع إلى جانب اللهو البريء الفائدة العظيمة .

وكثيرا ما يكون لأوقات الفراغ أثر فعال في مستقبل الأفراد أيضا ، فكم من رجال صاروا نوابغ بفضل انكبابهم على تلقى العلم والتحصيل في تلك الأوقات .

ومن عظماء الرجال الذين ارتفعوا إلى المكنة السامية التي نخلمهم إياها بفضل استغلال أوقات الفراغ "توم اديسون" مخترع التلفراف . . . فانه لم يكن قبل أن يحصل على مكانته المعروفة سوى بائع جرائد في النظارات ، ومع ذلك فانه كان يستغل أوقات فراغه ويعكف على آلاته الخبأة في قبو منزله الصغير ، يجري عليها أبحاثه وتجاربه حتى أمكنه أن يقوم بهذا الاختراع العظيم الذي أسعد العالم أجمع .

فأوقات الفراغ إذن هي خير فرصة يجب أن نستغلها لفائدتنا والترويح عن أجسادنا وأعضابنا المتعبة ، وأيضا لزيادة ثقافتنا وتنمية مواهبنا ، تلك المواهب التي تعيننا دائما على اختيار طريقنا الصحيح في الحياة . والزوج والزوجة في ذلك سيان لأن الزوجة أيضا لا يجوز أن تضع حدا لثقافتها بمجرد زواجها ، بل قد يكون الزواج من أكبر البواعث التي تدفعها إلى استعادة ثقافتها لأنها قد أصبحت تشارك في إعداد المستقبل لا لأسرتها فقط ، بل للوطن بأسره . وهذه المهمة تتطلب منها مجهودا يحتاج إلى معرفة وثقافة أوسع مما كانت عليه قبل الزواج ، حتى يمكنها أن تسير التطور العالمي ، وتدرج مدى تقدم الأمم ، وحتى يجد فيها زوجها شريكا محترما يتبادل وإياه أوجه الرأي فيما يعين لهما من أمور .

كذلك يمكنها أن تستغل أوقات فراغها في تعلم الموسيقى لما لها من أثر في تهذيب الشعور والسمو بالنفوس ولما تلحقه في جو المنزل من سحر مقرون بالسرور ، كما تتعلم التطريز والحياطة وتلم بتدبير المنزل إلماما حقيقيا غير مكثفية بمجرد الاشراف على الخدم ، فتكون بذلك قد أضافت إلى ثقافة فتاة المدارس معرفة سيدات المنازل ، تلك المعرفة التي لا بد لكل سيدة

تريد المحافظة على سعادتها من الأخذ بها ، فالزوجة بانتقالها الى منزل الزوجية لم تعد بعد تلك الفتاة المدللة التي تنتظر دائما رعاية أبويها ... بل هي الآن ربة منزل ، وربة المنزل لا بد أن تكون كاملة في معرفتها ، كاملة في قوة أخلاقها ، كاملة في كل ما يتطلبه منها منزلها من رعاية ومسؤوليات .

ومن العوامل المهمة أيضا في سعادة الأسرة تبادل الاخلاص بين الزوجين وعدم الالتجاء الى رذيلة الكذب .

فالكذب ولو كان نافع كثيرا ما يؤدي الى خلق المشاكل ، وانعدام الثقة في جو الأسرة ، ومتى انعدمت الثقة في جو الأسرة لا يمكن أن تسيروا سوية بسلام مهما حاول الزوجان ذلك .

وعلى ذلك يجب أن تكون حياتهما كصفحة نقية في كتاب مشترك ، فينما دائما في جو من الصراحة والإخلاص يجعل كلاهما رضى النفس مرتاح الضمير فتتحقق لهما السعادة التامة .

ولا يفوتني قبل أن أنتهى من هذا البحث أن أعرض لفوائد الاقتصاد وأثره في سعادة الأسرة ، فالأسرة الاقتصادية يمكنها أن تحيا حياة منظمة بعيدة عن الارتبكات المالية وما يتبعها . ولو أن كل أسرة استطاعت أن تنظم ماليتها وترسم ميزانيتها على أساس إيرادها ، ووازنت بين الإيراد والتفقات ، وقدرت حاجتها الاستهلاكية وأعدت لكل شيء عدته ، لما طرقت بابها يوما ضيق ولا عوز .

وكم تحسن ربة البيت صنعا لو ادخرت قدرا من النقود كل شهر لطفلها الصغير لتضع به في الإنفاق عليه في مختلف مراحل التعليم . وإذا كبر وأتمّ تعليمه ولم تكن هناك حاجة الى مس ذلك المبلغ أمكنه أن يستعين به في شق طريقه الى الحياة العملية إذا ما دعت الحاجة الى ذلك .

ويقينى أن الأسر لا تتم سعادتها إلا بوجود السيدة المدبرة العاقلة التي تتوقع كل شيء وتعد العدة لمواجهة أحداث الزمان ، وهذا شيء ضرورى في حياة الأسرة السعيدة .

وكذلك يمكن لربة البيت أن تفتصد شيئا من المال لتجديد أثاث بيتها حتى يبدو دائما في حلة جديدة زاهية فيدخل البهجة على قلوب كل من يراه .

وأختم هذا المقال بنصيحة هامة لكل من الزوجين اللذين ينشدان السعادة الدائمة في حياتهما ، وهى أن يحترم كل منهما عائلة الآخر ، فيعتبرا أنفسهما أسرة واحدة يربطهما رباط مقدس هو أقوى من رباط القرابة . فلا يدعان محبتهم تشوهها الشكوك وتعصف بها

الأوهام خصوصاً من جهة (الحماة) التي يكاد يعتبرها الكثيرون آفة اجتماعية يجب القضاء عليها... وأست أشك -لحظة في أن تلك الاعتقادات الخاطئة ليست إلا مفتريات تولدها تلك الدعاية السيئة التي يلجأ إليها بعض الناس في أقوالهم ، وتتخذها المجلات مادة للتكاذب والتبريح . ومع أنها فكاهة رخيصة تافهة إلا أنها في الواقع من الخطورة بحيث لا يصح أن نستهرن بها ... إذ أنها تعلق في مخيلة النشء ، حتى إذا ما شبوا وصاروا على أهبة الزواج تمثلت أمامهم تلك الصورة القديمة وصاروا يرون في حماهم رسول الشر في المنزل حتى وإن كانت كل الحقائق تكذب ذلك .

ومن هذا وجب على الأسرة الحديثة بصفتها نواة الجيل أن تنظر إلى مثل هذه الأمور بالعين المجردة البعيدة عن النشوية والمغالطات ، وإلا فما فائدة المعرفة إن لم تكن لسمو النفس وتنقيتها مما علق بها من أدران الجهل الذي كثيراً ما سبب بشاكلة الشقاء والفشل؟

هذا قليل من كثير مما يجب على الأسرة أن تعمل به . ولعلّي أكون في هذا المقال قد ماهمت بتقديم بعض النصائح الزوجية لكل من يرغب في الحياة المستقرة الموفقة التي لا بد وأن يكتشف حقائقها الكثيرة كل من يحاول إسعاد نفسه وإسعاد أسرته .

زينب محمد حسين

من راءه سبب أو داله عجب  
الدهر كالدهر والأيام واحدة  
فلى ثمانون حولاً لا أرى عجباً  
والناس كالناس والدنيا لمن غلبا  
أبو العلاء المعري

## حيث يرعون المحرومين

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عرضنا في مقالين سابقين لمشكلكي الأطفال المحرومين والفتيات الموزات كأهم مشكلاتنا الاجتماعية وأجدر مسانلة الاصلاحية بالعناية ، وقد بينا فيما ذكرنا ما لإقامة دور الكفالة من أثر في هذا السبيل ، ويسرنا أن نذكر أن لجنة أسبوع البر قد استقر رأيها على تخصيص ما جمع لإقامة دور لكفالة الفتاة والطفل ونوادي للصبيان . أما دور الكفالة فقد لمست اللمة أثرا إذ وفقت رابطة الاصلاح الاجتماعي منذ عامين الى اقامة دارين للكفالة أحدهما للطفل والأخرى للفتاة وقد جلوبنا أمرها نين الدارين فيما كتبناه من قبل بهذه الصحيفة ، أما نوادي الصبيان فقد سبقت الى انشائها أرمع جماعات :

الأولى : جمعية الشبان المسيحية وقد أنشأت ناديا عند محطة كوبري الليمون .  
الثانية : لجنة الاحتفال بالزفاف الملكي وقد أقامت للاولاد ناديا آخر عند سفح التل بحى الجمالية يعرف بمؤسسة الزفاف الملكي .  
الثالثة : جماعة الرواد في العلمين "التمين" أقامتهما في حى الطيبي والقللى .

الرابعة : جمعية التعاون الاجتماعي وقد احتضنت المبرات الاجتماعية وتولت ادارة اثنتين منها في بعض الأحياء ، وأرق هذه المؤسسات بالفرض وأومعها مجالا هي المبرات الاجتماعية لذلك رأينا وقد انجهدت النية الى تعميم نوادي الصبيان أن نعرض لما تقوم عليه هذه المبرات وخاصة أن لجنة البر قد أبدت اعتمادها بأمرها ، وعقدت النية على مداوتها ، لرى ما امفرت عنه التجربة ومدى ما ينبغي أن يؤخذ به في المشروع الذى أوشتك أن يوضع موضع التنفيذ .

في مبرة المحمدى :

هناك في نهاية شارع الملكة نازلى جوار مستشفى الدمرداش يرى السائر بناء فسح  
الجنات متواضع السمات هو مبرة جماعة التعاون الاجتماعي بالمحمدى وهي إحدى المبرات  
الثلاث التي تولتها جمعية التعاون الاجتماعي .

بإمادار المبرة فاستقبانا مراقبها الناضل وهو زميل قديم استهوته الخدمة الاجتماعية فاخص  
المحرومين بحى المحمدى بكل فراغه ، وما أسمى خدمة البانسين يهواها شبابنا ويفيدون من  
فراغهم بمولاتها والانصراف لما .

كنا في الرابسة بعد الظهر ، وكان فناء المبرة خاليا إلا من بضعة غلمان يجهزون الملعب  
فمنهم من يعنى بتخطيط الأرض ، ومنهم من يصرف لاعداد ملابس زملائه .

وقادنا الأستاذ المشرف الى حجرة الادارة حيث رأينا الأولاد يتواندون على الدار  
ويتناهبون ، وهم غلمان بين التاسعة والرابسة عشرة حفاة الأقدام ، لا يميزهم عن نظرائهم  
من أبناء السبيل غير تلك النظافة التي تين في هندامهم ، وتتجلى في وجودهم ، وغير تلك  
الروح الغنبة المهذبة التي تم بها اقوالهم وتكشف عنها حركاتهم وهي شاهد على العناية التي  
يلقونهم بالمؤسسة .

فبين جدران هذا المكان يقضى الأولاد ثلاث ساعات كل مساء يلقون خلالها من العناية  
ما فيه إصلاح لتوسمهم ، وتلبيه لمداركهم ، وسلامة لأبدانهم ، وحسبا أن تصور للقارئ  
مناهج العمل اليومي هناك لتبين القواعد التي تقوم عليها رسالة القائمين بهذا المشروع وما يتصل  
اليه ذلك الصغير المحروم إذا ما وجد من يهتم به ويوجهه التوجيه الصالح .

### كيف يعنون بالمحرومين :

نحس في مدخل المبرة ، والأولاد يسجلون أسماءهم عند زميل لهم ، حافي القدمين مثلهم ،  
هذا عضو سجل اسمه ثم انتقل الى بناء الحمام حيث يستبدل بملابسه الخاصة ملابس المبرة ،  
ثم ينطلق الى فائتها .

وينقسم الأولاد في لعبهم الى أربع فرق تحمل أسماء الخلفاء الراشدين للذكوى والتهيمن ،  
هذه فرقة عمر الفاروق وتلك فرقة أبى بكر ، وهناك فرقة على وفرقة عثمان ، ويشرف على كل  
فرقة رئيس يحاوله كأم سر ينتخبهما الأولاد انتخابا حرا لا دخل لادارة المبرة فيه ، ويمارس  
الأولاد باللاى الدايا مختلفة ، كل حسب سنه وقوته فهناك الألعاب السويدية وكرة السلة  
ورمى الحلقات ، وهناك الملاكمة للكار ، وقد أدخلت هذه اللعبة لما شوهد من ميل  
الصبية الى التطلاحن والتضارب تدفعهم الى ذلك غريزة حب المقاتلة ، ويشرف على الملعب  
متطوعان من تحريجي معهد التربية البدنية ، وقد درجت المبرة على اقامة مباريات دورية بين  
الفرق تمنح الفرقة الفائزة فيها علما خاصا ، كما يمنح المصنوع المتفوق جائزة تختار عادة من الملابس  
لتكون أفيد للفقير وأنفع .

وتقوم الخدمة بالمبرة على الأولاد أنفسهم ، فتلك الفرق تتناول العمل من تنظيف  
الملعب ، واعداد أدواته وتنفيذ برامج الحفلات والاشراف على النظام .

وليست المبرة مجرد ندوة يخطف الأولاد اليها ليحدثوا في ملاحظاتها ملهة لهم وبجالات انشطاتهم  
بل هي معهد يتلقون فيه ما يزيل أميتهم ويكافح بطالهم ، ويداولى أمقامهم .

أما الأمية فتحارب بتلك الدروس التي يلقيها المشرف بقدر ما يتيسر له من وقت ،  
وأما صحة الأولاد فيمنى بها طيبان يترددان على المبرة مرة كل أسبوع ، وأما البطالة فإن من  
أولى غايات المبرة مكافئها ، وتيسير العمل لمن تعذوا سن الإلزام من أعضائها :

من آثار التوجيه الصالح :

اليوم الثلاثاء أحد يومي الاجتماع الدام ، والأولاد ملتفون حول سارية العلم في نظام  
بديع وقد أمسك كبيرهم بجبل السارية حتى إذا جذبته وارتفع اللواء عاليا انطلق الأولاد  
ينشدون تحية العلم في أصوات عذبة تفيض حماسا وقوة .

وانك ليأخذك العجب وتعروك الدهشة حين ترى الى هؤلاء الذين كانوا بالأمس  
يهيمون في الحوارى ، ويتسكعون على أطوار الطرقات ، يتلقون فيها دروسا في الفساد  
والاجرام ، تراهم اليوم وقد تبدل هندامهم وتهدبت حركاتهم يقفون وقفة رجل واحد حتى  
إذا صاح فيهم رائدهم يا شباب : ألفت المكان يدوى بهتافتهم .

لقد انتهى الأولاد من أناشيدهم ، وجلسوا الى السمر في حلقة كبيرة يتوسطهم الأستاذ  
المشرف الذى مضى يقص عليهم قصصا فيها من أسباب الارشاد ما يوجههم الى النهج  
الصالح ويلزمهم جادة الخلق الكريم .

فإذا فرغ السمر انتهى الأولاد الى الحمامات ثم مضوا الى المطعم يتناولون عشاءم الذى  
اعد لهم بارشاد معالى الدكتور عبد الواحد بك الوكيل في تركيب يجمع كل العناصر المعذية ،  
ثم ينتهوا الى المسجد الذى اقامته المبرة لهم يؤدون فريضة العشاء .

ووقفت في جمع يقرب من المائة غلام من تلك الطبقة التي كانت بالأمس اقرب الى  
الاجرام وأدنى من العصابة ، أتأمل كيف ساس بالمران قيادها ، وحسن بالتوجيه الصالح  
شأنها ، وما لهم لا يذكرون الله ويكبرونه وقد هيا لهم من فضله من عوضهم عن بؤسهم  
فرجا ، وأتاح لهم في ضيقهم مخرجا .

رجال . . . .

انفضل يا حسين ، متشكرا يا ابراهيم ، عال يا رجاله ... تلك هي العبارات التي تتجاوب  
بها جنبات المبرة ، وهذا هو الأسلوب الذى يخاطب به المشرفون على المؤسسة هؤلاء الصغار  
الحفاة ، ذوى الجلايب المرفوقة والأردية المحرقة .

لقد أدرك القائمون بأمر المبرة أن اعزاز الصغير واشعاره بأنه انسان كثيره له شخصيته ،  
وله عز ، وكرامته ، هو أقوى ما يحفزّه الى إصلاح نفسه واستكمال اسباب نفعه ، ولا غرو  
فهي الكرامة . . . الكرامة التي يرى فيها علماء النفس دعامة الشخصية وقوامها ، والتي ذهب  
بعض الفلاسفة امثال كان الى أنها الحافز على كل عمل منيذ للفرد ومصدر كل خير للجماعات .

## رعاية المبرات للأسر الفقيرة :

ولا يقصر القائمون بأمر المبرات جهودهم على رعاية الصغار فحسب بل تمتد خدماتهم الى الكبار من آباء الاولاد وغيرهم وتقوم هذه الخدمات في نواح ثلاث :

الأولى : في معوتهم المادية اذ تصرف كل يوم لحوالى مائة منهم وجبات كاملة من الخبز والخضر واللحم أو البقول وغيرها ، يحملونها في أوعيتهم الى بيوتهم .

ولما كانت تذكىة الشعور بالكرامة ومكافحة التسول والاستجداء هى غايات الجمعية الأساسية فقد عمدت الى تقاضى خمسة مايات من كل فقير لقاء تقديم هذه الوجبة الكاملة .

والثانية : في تهيئة أسباب النظافة للفقراء في المناسل التى يضمها بناء المبرة ، فهناك ستون صندوقا بأحواضهم لغسيل الملابس كما أن هناك عشرات من الحمامات يستحم فيها الكبار في أوقات خلوها من الضغار وقد جهز البناء بمحرك يعد الماء الساخن - ويصرف الصابون في كل الحالات بغير ثمن .

وثالثة الخدمات التى تؤديها المبرات هى العمل على ارشاد اسرر الاولاد ورعاية شؤونهم فهى تبعث بالإخصائين الاجتماعيين الى بيوت الفقراء لبحث أحوالهم وفض خلافاتهم وتدارك ما ينقصهم وتعقد المبرة في كل أسبوع اجتماعا عاما يحضره جمع كبير من آباء الاولاد وأمهماتهم يستمعون فيه الى ما يعده لهم الأستاذ المشرف من نصيح يوجههم وارشاد يفيدهم .

## المبرات وفوائدها :

يقول الأستاذ برت Cyril Burt في كتاب المذنب الصغير The Young Delinquent الا سبيل لتقويم الطفولة البهامة بغير وسيلتين : تهيئة البيئة الهالمة من جانب وتيسير القوت للمصغير من جانب آخر - وقد دعم الأستاذ بحثه باحصاء انتهى فيه الى أن واحدا وثمانين فى المائة من جرائم الصغار إنما يدفع اليها الجوع ، وأن أكثر ما يجرى الى حالة الازدحام المشاهدة فى المدن تلك الأحياء المكتظة بساكنيها وهذه البيوت التى تضيق بمن فيها من بنين يحشرون مع البنات فى سن تتفتح فيه براعم الفتوة ، ويدب فى ابدان النشء ديب اليقظة الجنسية كل أولئك يهوى للفساد بيئة خصيبة وبعد للجريمة جوا تفرخ فيه وتتكاثر ، والصغير الذى يستمرىء الجريمة هو بغير شك أضر على المجتمع وأخطار من يذنب كبيرا واذا كان المشرعون ورجال الفكر فى اوربا وامريكا قد أكثروا من الاشارة الى خطر اهمار الصغار فما لا ريب فيه أننا أحق بالاستماع الى تلك النصيحة وترديدها وحسبنا أن نرجع فى هذا الى الاحصاء الذى يرى كيف يتردى فى هوة الاجرام كل عام جيش عرمرم من هؤلاء الصغار ، فقد ورد فى تقارير السجون أن عدد الاحداث الذين أدينوا بتجاوز العشرة آلاف

في الفترة ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٥ وأن السجون آوت من هؤلاء أربعة آلاف ونفذ الجلد في خمسة آلاف وأن هذ الأرقام قد قفزت في الفترة ما بين سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٢ الى ما يربو عن الحمة والأربعين ألفا .

يقول المثل الألماني إن الزوجين لا يتشاجران ولكنه الفقير يتشاجر ، والمبرات التي يجد فيها الفقراء ندوات لأولادهم ، ومغاسل وحمامات ، ومطاعم لهم واصغارهم ، ومعاهد ارشاد تثير عقولهم وتزيل أمية أولادهم ، هي بغير شك خير ما ينهض بالفقير و يرق بحاله .  
رأينا فيما تقدم أن المبرات تعنى بتنشئة الغلمان المحرومين تنشئة سليمة فهي :

- ( ١ ) تعنى برياضة أجسامهم ونظافتها وسلامتها .
- ( ٢ ) تمد الأولاد بالغذاء الصحى وتسهل لهم سبيل العمل كما تهتم بإزالة أوبتهم .
- ( ٣ ) تهيئ لهم مجالاً للنشاط الحر Free Activity يصرفهم عن النزوات التي يتعرضون لها في بيئتهم الفاسدة .
- ( ٤ ) ولعل خير ما يستنه القائمون بأمر المبرات اهتمامهم بالناحية التربوية وأخذهم بأحدث أساليبها .

فهم كما رأينا يضعون بناء الشخصية هدفا لهم ، ولا نرانا بحاجة الى تكرار ما المعنا اليه من أثر تدعيم الشخصية في بناء جيل صالح منتج وحبسنا أن نشير في هذا الى ما قرره المؤتمر الدول الخامس للتربية الاسرية الذي عقد في بروكسل عام ١٩٣٥ والى ما ذكره ديوبى وما كتبه روسل Russel في تقويم الأطنطيق الشهير Atlantic Monthly وهما يصنان احترام الشخصية أساسا للنهوض بالنشء .

( ٥ ) فاذا أضفنا الى ما تقدم ما يخلفه اجتماع الأولاد تحت لواء واحد وفي دائرة نظام يروضون أنفسهم على احترامه من تمويد لهم على حياة الجماعة Group Sprit وتوجيه صالح لفرائيمهم التي تحتاج في تلك السن الى من يقودها اذا راعينا هذا كله وجدنا أنساحين تعنى بإقامة هذه المؤسسات انما نعد بإقامتها معاهد ومعسكرات نخلق فيها من ذلك النشء المهودد بالفساد جيلا عاملا نافعا .

### نريدها مبرات لا نوادى للصبيان :

إن الغاية التي تعجب اليها اللجنة التحضيرية لمشروعات أسبوع البر من اعداد نوادى تخلف اليها الصبيان من المشردين أو العاطلين أو أنصاف العاطلين كوسيلة للعناية بصحة الأولاد والماء فراغهم بما يفيدهم بدلا من اضاعة الوقت في التشرذ والتسكع في الطرقات هي غاية ولا شك حميدة نية ، ولكننا اذ وازنا السبيل الذي ترى اللجنة اقتفاه بذلك المنهاج القويم الذي تقوم عليه المبرات الاجتماعية وجدنا أن من الخير اقامة مؤسسات الصبيان على ذات

الخطوة التي تسير عليها المبرات الاجتماعية ولما في التمسك بالمبرات اسما وعملا هتان : الأولى أن كلمة مبرة وهي مشتقة من البر الذي أعد له أسبوع البر أنسب من "النادي" الذي لا يفهم منه غير ندوة للهو ومكان لشغل الفراغ، والثانية أن المبرات كما قدمنا تهالج مسألة الصغار فلاجا كاملا وليس مجرد شغل وقت الأولاد هو كل ما ينهض بهم انما يتحقق الغرض حين يعمد المصلحون الى البيئة التي يأوى اليها الصغير فيعملون على رفع مستواها وتلافي ما هي عليه من نقص. وهذا ما اتفنى به المبرات القائمة، فهي كما رأينا تقدم للاعبين مادية بصرف الطعام لهم وبالعباية بنظرة مابسههم في مفاصلها وأجسامهم في حماماتها وبارشادهم في الاجتماعات التي تهدها لهم .

رب معترض يقول إن اللجنة قد توخت فيما ترسمت طاقتها وسعة ماليتها وعندنا أن لتدير المال - بلا عدة .

الأولى : أن يعذف من الميزانية المقترحة للنادي مرتبات المعدلين الخمسة الذين ترى اللجنة تعيينهم و كل ناد وأن يكتفى بتكليف المدرسين الالراميين في مناقشة النادي باعطاء الدروس لقاء مكافأة لا تتجاوز جنبها واحدا في الشهر لكل معلم وبهذا يقتصد أربعة أحماس الاعتماد المقترح الثانية : أن يسمح للجنة أسبوع البر ولجمعية المبرات الاجتماعية باصدار يانصيب يتفق ربحه على المبرات .

الثالثة : أن تنام حفلات مسرحية ورياضية يخصص إيرادها للمبرات وأن تعد بين وقت ووقت حفلة عشاء للصغير المحروم يحضرها القادرون من أهالي كل حي لتناول طعام وخصيص مع الأولاد لقاء ما يجودون به من تبرعات .

وسوف يساعد لجنة أسبوع البر على تعميم موعونها لتشمل الآباء وغيرهم من الفقراء عوامل عدة منها أن إعداد الطعام للأكبار ل يتحملها على تعيين طواد خاص فسوف يقوم باعداده الطاهي ومساعدته اللذان سيعدان طعام الأولاد .

وأنها ان تنشئ لآباء حمامات خاصة وإنما سيقصر الأمر على السماح للأكبار بارتياح الحمامات في غير أوقات استحمام الصغار .

وأن المعامل بعد إنشائها ان تتكلف غير ثمن الماء والوقود والصابون .

فإذا أضفنا الى ما تقدم ما يمكن للجنة أسبوع البر من موعونة وزارة الصحة التي تعري المجموعات الصحية وتتفق عليها المال الوفير ، رأينا ان إنامة نوادي الصبيان على غرار مبرات التعاون الاجتماعي وطبق منهاجها هو بلا ريب أدعى الى بلوغ الغرض المرجو وأقرب لتحقيق البر كاملا غير منقوص .

محمد عبد الكريم

## أريد ١٠,٠٠٠ متطوع ومتطوعة

لمدينة القاهرة وحدها !!!

الخدمة الاجتماعية طابع العصر الحديث ، وقد اتسع مداها وزادت أهميتها بعدما لم يرب العظمى الماضية وما خلفته من بؤس وشقاء وفقر وأوبئة ومجاعات وأمراض : ثم في هذه الحرب وما تجره من ويلات لجميع السكان .

والشباب هو العنصر الغالب في القيام بهذه الخدمة ، لأن الشباب سن الفيض في القوة والفضل في العاطفة وهو في موسم النهوض بالأعباء العامة ، قبل أن تتقدم السن ، وتنقص المقدرة ، ويتزوى الفرد في شئونه الخاصة وأعبائه الشخصية التي تزايد كلما تزايد العمر وتقدمت السنون .

وفي الشاب والشابة نشاط زائد ، ولديهما متع من الوقت ، فإذا لم يجد هذا النشاط مجالاً ما يبا يتفق فيه ، انصرف إلى المجالات الناسدة ، والفراغ والشباب حين يجتمعان تكون لهما دائماً عواقبهما الوخيمة التي نص عليها الشاعر في بيته القديم المشهور .

والخدمة الاجتماعية على اختلاف ضروبها وسيلة من خير الوسائل لانفاق النشاط وشغل الفراغ ، وهي وسيلة ميسرة لكل شاب ولكل فتاة ، وهي فتحة على أثرها الاجتماعي المطلوب — ترفع النفس وتجعل للحياة قيمة في نظر المشتغلين بها ، وتلهمهم كثيراً من الفضائل التي لا يحس بها الفرد إلا حين يهتم بشؤون المجتمع ويخرج من سجن الفردية البغيض .

وفي بلد كصر يجد كل شاب وكل فتاة المجال واسعا لكل ضروب النشاط الاجتماعي ، فتعليم الأميين وإنقاذ المشردين ، ومعاونة المحتاجين ، ودراسة حال الأحياء الفقيرة ، وإرشاد الفقراء إلى وسائل لزيادة الدخل ، وإعداد الفتيات المشرديات والفقيرات لحياة المجتمع ومعيشة البيت ، واستنقاذ المدمنين والغواة ... إلى عشرات من هذه الخدمات الاجتماعية كلها وسائل ميسورة لإرضاء التربة الانسانية الخيرة ، وللقيام بالواجبات الاجتماعية المذوعة .

لدينا ألوف من الشبان والشابات يضيقون بالفراغ فهم دائماً مشغولون بمعركة "قتل الوقت" يقتلونه ويقتلونه بالجلوس في المقاهي وبالزيارات التي لا ضرورة لها ، وبقراءة الوريقات الساقطة والمجسلات الرخيصة والروايات التافهة ، وبالفيل والقال وتلعب أخبار الناس وبأيذاء خلق الله في كثير من الأحيان .

وكل هذه مظاهر للفراغ وللنشاط الزائد والوقت المتسع. ولو وجد هذا النشاط منفذاً إلى أعمال الخير لنقضى فيها ولأننتج نتائجه الطيبة !

ولدينا في الوقت نفسه وفي القاهرة نفسها — لا في الريف البعيد — مئات من الأحياء الفقيرة تصلح مزعومة تجريبية لجميع أنواع الخدمة الاجتماعية ، أتى تشغل الفراش ، وترفع النفس عن الصفاة وتستغرق الوقت لدى نقتله كل يوم فيما لا يفيد !

وكثيرا ما نشرت على صفحات هذه المجلة أوصاف لبعض هذه الأحياء تستدر الشفقة وتستنهض الهمم للخدمة ، وقد خطر لي قبيل عبد الأضحي الماضي أن أقوم بجولة شخصية في حي من هذه الأحياء ، وإلى هؤلاء الشبان والنشبات أسوق بعض مشاهدت بدون مبالغة — فما أنا في حاجة إلى المبالغة والراقع وحده يكفي — لعن هذه الصور أن تحفزهم وتحفزهن إلى أداء الواجب المفروض ، الذي ينهض به الشباب في بلاد العالم المتحضر ، بلا حث ولا توجيه .

خلف المسجد الحسيني وأبنية الجمامة الأزهرية الحديثة يقع حي يسمى "شارع الكفر" يدخل إليه الانسان من مدخل ضيق بشوارع المنزلدين الله ( الدراسة ) . ومن هذا المدخل دخلت ومعى رفيق نجوس خلال هذا العالم المترامى الأطراف الذي يسمى "كنز الطامنين وكفر الزغاري . وحارة العطاوف ....."

وما أحب أن أذكر تفصيلات مشاهدتنا في خلال ساعتين كاملتين مررنا فيهما بالدروب الرئيسية إذ كان الدخول إلى الأزقة والعطافات الفعنة نوعا من المستحل لمن يلبس حذاء وجوربا وينطولونا لا بد من التضحية بها جميعا إذا خاطرنا في هذه الأحوال والقاذورات المتعفة والفضلات الانسانية والحيوانية التي تغوص بها الرجل — لا القدم وحدها — في كل خطوة بالطريق .

اخترنا إذن أن نضحي بأحدتينا دون الجوارب ودون البنطلون فتبعنا الطرق الرئيسية في هذا العالم المقلل المجهول . وفي هذه الطرق الرئيسية قضينا ساعتين في المرور والطواف ، وكان ذلك يوم وقفة العيد .

هذه الطرقات الرئيسية من الطين وهي مرتفعة عن مداخل البيوت بنحو نصف متر ، فمعظم البيوت ذات عتبة يهبط منها الداخل نظرا لارتفاع الطريق . وعلى أبعاد قريبة في هذه الطرقات يرى السائر بعض أكوام القمامة فضلا على الفضلات الحيوانية والإنسانية . ويرى المساعز والنجاج مربوطة في الطريق ، ويرى عجائز الحى وبعض المقعدين والمكفوفين مسندين إلى الجدران القاعة في الطريق كذلك ، ويرى الذباب والبعوض والصراصير والخنافس جميعها ترحل في أو حول أكاداس القمامة .

وألنا : ألا تؤخذ هذه القمامة من هذه الطرقات ؟ وأجابنا السكان : كلا ! ومن يأخذها ؟ قلنا وأين تذهب إذن ؟ قالوا تبعثر في الطريق وينزل عليها المطر في الشتاء أو تعصب عليها المياه المتخلفة من حياة البيوت ( إذ لا توجد غالبا مراحيض ولا مجار عامة ) ويدوس عليها المسارة فتلتصق بالأرض وتصبح جزءا من قشرتها ... وهنا عرفنا سائر ارتفاع الطرقات عن البيوت !

للبيوت دهاليز معتمة مرطوبة لا يتطرق إليها الهواء، وطبيعي ألا يتطرق إليها النور ولا منافذ لها مع ضيقها وطولها، حتى تنهى إلى الحجرات الأرضية الممتعة أو إلى الفناء بين هذه الحجرات .

في بعض هذه البيوت رأينا مصابيح البترول من ذوات الفتيل بلا زجاج مشعلة من الداخل - والوقت ظهر - ليستطيع السكان أن يبصروا أنفسهم ويقضوا شؤونهم في داخل هذه الدهاليز والحجرات السحيقة !

وفي بعض هذه البيوت شاهدنا على ضوء تلك المصابيح الخائفة رجالا ونساء وأطفالا وهم جميعا غرابا ! - وليس في هذه اللفظة مجاز إنما هي الحقيقة - لقد كان العيد على الأبواب نفلح الأطفال والرجال والنساء ملابسهم لتغسل - وليس لها بطبيعة الحال بديل - فأما النساء بخسن وأمامهن " الطشوت " يغسلن ، وقد سترن أوساطهن فقط بمخرق صغيرة ، وأما الرجال فانظروا على أنفسهم وتستروا بانظوائهم ، وأما الأطفال فقد انطلقتوا بلا حرج من العرى البرى !

وقد شاهدنا وشاهدنا مما لا أريد أن أؤذي به شعور القراء ، وليس من غرضي نشره لمصممة الشفاء عنه . ونحن أردنا أن نتقصى شؤون هؤلاء الناس قالت لنا فداة من الحى . " أتم رجال ولا تستطيعون أن تدخلوا البيوت لمعرفة ما فيها ، فابحثوا نيات وهن يستعلن الحصول على جميع المأموعات والمساعدة إذ كنتم تريدون بالمعرفة المساعدة " .

كانت فداة يبدو عليها شيء من الثقافة ولولا أننا في حى بلدى لاتخذناها لنا دليلا ولسرنا معها في ذلك العالم البجهول ، ولكن تقاليد الحى لا تسمح بمثل هذا ، ولا بد من متطوعات يدخلن البيوت فيأمن الناس هن ويكشفون هن المستور .

لو وجدت الفتاة التي تصحى بمحذاتها الثمين وجورها الرقيق ، ولو وجد الشاب الذى يتحمل وساخة الحذاء والبنطلون ، ولو وجد المتطوعات والمتطوعات الذين لا تضيق صدورهم بالروائح الكريهة والذين يصبرون على مكاره السير في هذه الأحياء ومكاره الدخول لهذه البيوت ، لاستطاع الجميع أن يساهموا في إنقاذ هؤلاء المكويين .

ويبقى أن هذه الأحياء وسكانها لو وجدت رعاية إنسانية من هؤلاء المتطوعين بدراسة حالة كل بيت ، ومعرفة موارد كل عائلة ، وطريقة ارتزائها ، وأنواع ضرورتاتها ، لأمكن النهوض بها بدون تدخل من السلطات المسؤولة .

إن إرشاد هؤلاء السكان إلى بعض القواعد الصحية كفتح بعض النوافذ ونقل القمامة المتزلية بعيدا عن الطرقات ، وعدم التبرز بجوار الجدران ، وتوزيع بعض المواد اللازمة للتنظاف كالصابون والملابس ، ومنح بعض الضروريات كالأرز والعدس ... ثم محاولة

إرشاد الأهالي إلى موارد رزق جديدة تزيد من دخلهم وترفع مستواهم العقلي بالتثوير والتعليم الممكن ... إلى مثل هذه الخدمات كفيل بتغيير هذه الحالة المؤذية للشعور الإنساني .

ومكاتب الخدمة الاجتماعية مشروع جليل من هذه الناحية ، ولكنه في حاجة إلى المتطوعين والمتطوعات في جميع الأحياء ، و ١٠,٠٠٠ متطوع ومتطوعة هو الحد الأدنى في نظري لدراسة حالة جميع السكان في جميع الأحياء المحتاجة للدراسة .

وإن وزارة الشؤون الاجتماعية لتؤدي عملا جليلا حين تولى هذا المشروع عنايتها الكاملة ، وحين تعممه في جميع أنحاء العاصمة بل العواصم والقرى جميعا ، فنى كل مدينة وكل قرية شباب فارغ ووقت ضائع ، ويجوارهما يؤس نخم ومحتاجون للخدمة الاجتماعية . وقد لا يكون هذا علاجا أساسيا للداء الأصيل ، ويكون العلاج الحاسم هو زيادة الموارد الفردية والموارد العامة حتى تخف هذه المظاهر المؤذية من حياة البلاد ، ولكن كم ياترى ينقضى من الوقت ويبدل من الجهود لتحقيق هذا العلاج الحاسم ؟ لأنه ولا شك وقت طويل وجهد شاق ، والحالة الواقعة لا تحتمل الانتظار حتى تتحقق هذه الآمال العريضة ، فمن الواجب أن نجرب الآن كل وسيلة محدودة لتغيير الواقع الذى نراه .

وإننا لنذكر بالخير وزارة الصحة في هذا المقام على مشروعها الذى يقضى بإزالة الأحياء القذرة الموبوءة في مشروع السنوات العشر ، ولكننا نحشى أن تكون إزالة هذه الأحياء كلها في حاجة إلى مبالغ ضخمة جدا لا تحققها الميزانية العامة إلا بعد زمن طويل .

وعلى أية حال ، لا ينبغي لنا أن نبقى مكتوفى الأيدي في انتظار تلك المشروعات الضخمة ونحن نرى مواطنين أعزاء يمرون هذه الحياة في القاهرة عروس الشرق وعاصمة الدارة ... !

إد في عنق كل شاب وكل فتاة دينا لا ينقضى حتى يزور حيا من هذه الأحياء المنتشرة في أحياء العاصمة ويشترك في تقديم خدمة اجتماعية من الوقت أو من المال أو من الجهد في سبيل هؤلاء المواطنين الأعزاء .

وإن في عنق كل ثرى وكل ثرية دينا لا ينقضى حتى يستجيب لدعوة المتطوعين والمتطوعات من أجل سكان هذه الأحياء المحرومة من الضروريات . ولن يغفر لنا الوطن ولن يغفر لنا العالم المتحضر أن نغمد عن هذه الخدمات الاجتماعية في ارتقاب المشروعات الحكومية الضخمة التى قد يطول انتظارها ، أو في ارتقاب المعجزات السماوية التى تنقذ هؤلاء الألوف من المواطنين .

ولنذكر دائما أن الخدمة الاجتماعية هى السمة البارزة للعصر الذى نعيش فيه ، وأنها مقياس لا يخطئ على درجة التحضر ومقدار الرقى العام ، وأن الأجانب يزورون هذه الأحياء ويحفظون مجموعات من الصور الفوتوغرافية لمشاهداتهم فيها ثم يحكون علينا مما يشاهدون وهو اصدق مما نحاوله بالدعاية والإعلان !

## فاعل خير - هموم الناس - السخط والتشاؤم

( ١ )

يلاحظ القارئ لقوائم التبرعات بالصحف في هذه الأيام ظاهرة طيبة، تلك هي ورود أرقام لتبرعات مالية يكتب أمامها " فاعل خير " أو " مجهول " وهي علامة خير لا شك فيها ودليل على ارتفاع الروح الأدبية ونمو فكرة الاحسان في بعض النفوس والاقدام على فعل الخير مجردا عن حب الثمرة وعن الرياء .

" فاعل خير " فال حسن في أمة يتبرع المتبرعون فيها وهم يتلفتون حولهم ليتأكدوا من وجود مندوبي الصحف ولتفاوضو قبل ذلك في " التعويض المناسب " عن هذه الخسارة المحققة ! وليضمنوا الصنفقة الراجعة من لقب أو منصب أو قضاء أشغال !

فاذا وجد في هذه الأمة من يتبرع بلا دافع من هذه الدوافع المعروفة ، ومن يقاوم مع ذلك أغراء النشر والاعلان ، فتلك ظاهرة تستحق التسجيل ، وذلك مطلع بجر جديد جميل وهذه المناسبة نذكر أن التبرعات لإنشاء الوحدات الصحية والمساهمة في "تحسين الصحة القروية" لا تزال بطيئة وقليلة بالقياس الى النشاط الذي بدأت خطواتها به ، والذي توقعنا بسببه رقبا عاليا لهذه التبرعات .

لقد تفاعلنا خيرا حين بدأت التبرعات من ذات الألف تتوالى على وزير الصحة ، فلما : إن المقدر في الأصل للمشروع حوالي مليونين ونصف المليون من الجنيهات في كل عام ، وأن الذي اعتمد وسيعتمد في سنى الحرب هو ستمائة ألف جنيه في العام ، وقلنا : إننا نرجو أن تنهض التبرعات الشعبية بما عجزت عنه الميزانية الحكومية في العام الحاضر وإن هم إلا أنمان من الأغنياء يتبرع كل منهم بألف جنيه فقط فيكمل المبلغ المراد !

لقد كان ذلك - فيما يبدو - حلما جميلا رأياه ، لا أملا ممكنا توقعناه . ولكننا نود أن نستغرق طويلا في هذا الحلم الجميل ، إذا كان تحقيقه في عالم الواقع من المستحيل ورحم الله " كارينجى " ذلك الرجل المحسن العظيم الذى تبرع بثمانية وتسعين مليوناً من الجنيهات من بين مائة مليون ، فلما استقل المليونير الباقيين فصارا خمسة ملايين تبرع بها أيضا على أن تنفق بعد الوفاة .

رحم الله ذلك " المجنون " في عرف أغنيائنا " العقلاء " الذين يعرفون كيف يتخلون على الوطن الذى منحهم الثراء ، ويعرفون كيف يتبرعون على شرط أن يحصلوا على الجزاء ، وما أفدحه من جزاء !

(٢)

”ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط“ ذلك هو شعار المتطوعين للإسعاف ، فما أجدره أن يكون شعارا لكل فرد في المجتمع .

وإن العين لتقع على الكثيرين في مصر ممن لا يستحقون أن يولدوا ، أولئك الذين يجعلون أنفسهم محورا لحياتهم ، ويعملون رغائبهم أقصى أهدافهم .

إن الدنيا لتضطرب من حولهم ، وإن المجتمع ليموج من خلفهم ، وإن هموم الناس لتبدو لأعينهم ، ولكنهم في شغل عن ذلك كله بنفوسهم ، وفي غفلة عن هذا كله بهومهم

ولن تكون همومهم هذه إلا تافهة رخيصة ، تتعلق باشتهاء لذة ، أو حرمان من متاع ، أما هموم الإنسانية الراقية ، ومشاكل الحياة المالية ، فلن تعرف الطريق إلى نفوسهم الصغيرة ، ولن تنفذ إلى قلوبهم الحائرة .

أعرف شبانا وفتيات تشغلهم وتشغلهم أحدث المودات في البذلات والفساتين ، وفي الجوارب والمناديل وفي كى الشعر وتصفيفه ، ثم يشغلهم ويشغلهم التفكير في الحفلات والسهرات ، وفي اللذائذ والشهوات . حتى إننا من بالوطن حادث ، أو كرت المجتمع كارث ، أو تعرض جيرانهم الأقربون لأذى لم يبلغ صدق ذلك كله إلى قلوبهم ، وإن وصل إلى أسماعهم اتخذوه مادة للسخرية ، ونبعا للمكاهة ، وسببا للنكتة .

وإذ هؤلاء جميعا يعيشون ويموتون محصورين في هذا الأفق الضيق السخيف كما توت الديدان والحشرات بلا ذكرى ولا تاريخ .

وأعرف شبانا وفتيات — وإن كانوا وكن أقل عددا — نفوسهم منفتحة لكل حدث هام ، يلمس حسهم ما يلمس الوطن فيتوفزون ، ويهزم ما يهزم المجتمع فيثبون ، ويرممهم ما يرمم الناس فيشاركون .

وإن هؤلاء جميعا يعيشون ناهين ، ويموتون مذكورين ، ويخلدون في وسطهم أو في وطنهم ، أو في عالم التاريخ . وإنهم ليحيون حياة واسعة حافلة ، ويموتون ميتة شريفة عظيمة .

والأولون دليل انحلال وأفول ، والآخرون دليل نهضة وارتقاء ، فليكن لمصر في شبانها وفتياتها من هؤلاء الأخيرين عدة للمستقبل ، وسلاح للكفاح في عالم يتها للظهور من وراء هذه الحرب الضروس .

( ٣ )

في مراحل الانتقال — كالمرحلة التي نجتازها الآن — يكثر عدد الساخطين وعدد المتشائمين كلما كثر عدد العابثين وعدد المستهترين. والساخط دليل حياة، أما المتشائم فـ دليل موت .

الساخط إنسان حساس، لا يطبق الشر، ولا يصبر عن الخير، يستعجل خطوات الزمن، ويستبطئ خطأ الإصلاح، وينفر من الواقع الذي لا يرضيه. والمتشائم إنسان مريض الحساسية، يأمن من الخير، مستمطم للشر، لا يربو إصلاحا، ولا يحاول تغييرا، ولا عقيدة له في الحياة .

وقد تتشابه مظاهر السخط ومظاهر التشاؤم في أول الأمر، فكلاهما تبرم بالواقع وألم من الحاضر، ولكنهما يفترقان بعد ذلك تمام الافتراق. فأما السخط فيدفع صاحبه إلى العمل لتغيير الواقع واستكمال النقص وتحسين الحال، وأما التشاؤم فيدفع صاحبه إلى الانزواء عن الحياة والانحسار عن المجتمع، وترك الحال والمآل .

ونحن — في مرحلة الانتقال — في حاجة إلى عدد كبير جدا من الساخطين، ولنا في حاجة إلى واحد فقط من المتشائمين، لأننا في حاجة إلى الحركة لا إلى الجود، وإلى العمل لا إلى القعود، وإلى الإصلاح العاجل لا للاستسلام للفساد .

ويجب ألا نخشى السخط على النقص والفساد، فمن هذا السخط نستمد الحرارة للعمل، والقوة للجهاد، ولو رضى الجميع عن الواقع ما فكر أحد في الإصلاح، ولما سارت عجلة الحياة إلى الأمام، ولا وجد الدواء لما نشكوه من الأدوية .

ومتى تحولت حرارة السخط إلى حركة إصلاح، آنا في أمن من كل ما نخشاه منه ونتوقعه إنما يخشى السخط المحبوس الذي لا يتحول إلى حركة منطلقة، والأهم في فورات نهضتها تريد السرعة وتضيق بالبطء، وتدفع العجلة إلى الأمام بعنف. وهذا كله خير لأنه أفضل من الجمود أو الهمود .

فلترحب بالسخط الحار ولنحارب التشاؤم البارد، بل لتعلم كيف نسخط على النقص لتعلم كيف نرحب بالكمال، ولتألم من الحاضر لتضمن الاستمتاع بالمستقبل، فالسخط والألم دليلان على الحياة كالاستبشار والرجاء سواء بسواء .

## تمثيلية اجتماعية

### مروحة الليدى وندرمير

#### بقلم اوسكار وايلد

مارجريت فتاة حرمت حنان الأم وهي في المهد فثبت لا تعرف سوى أبيها الذى يدأب دائما على ذكر أمها وتصويرها في أحسن صورة، ويرى أن الفضائل الحسنة والسجايا الحميدة إنما هي قطرة من فيض رنة أخلاق والدتها وسمو نفسها .

نشأت الفتاة وهي تقديس ذكر أمها وتغليلها دائما المثل الأعلى لها في حياتها، وتضعها من نفسها موضع القديسة ؛ فهي شابة طيبة القلب نقيصة السريرة كما أها الله على طهارتها بزواج ختر طيب هو اللورد وندرمير ، أحبها وأحبته وعاشت واياها على أتم ما يكون الوفاق والحب بين الزوجين المختصين حتى من الله عليهما بمولود توج صاتها بتاج الأبدية ، وربطهما برباط الخلود .

يبدأ الفصل الأول حيث تكون الليدى وندرمير تزين قاعة الاستقبال بالورود الجميلة التي اقتطفها لتضفي على المنزل من روعتها سحرا وجاذبية ، وحتى تدخل السرور الى قلب زوجها وقلوب مدعوها ، فالليلة هي ليلة عيد ميلادها . وبذا هي في عمائها إذ يعلن الخادم مجئ اللورد دارلنجتون فيدور بينهما حوار حول الرجل والمرأة وهل يقتدر ذنب أحدهما إذا ما أخطأ ، فصر الليدى على أن الخطئ يجب أن يعاقب والمرأة والرجل في ذلك سواء ، فيطربها لورد دارلنجتون ويمتدحها ويثني على جمالها وفتنتها فحمنه باطف وترجوه أن يراعى أنها لا تستسيغ هذا النوع من الاطراء وأن السيدات وإن كن يرين فيه شيئا عاديا لا غبار عليه فهي تعتبره ماسا باخلاصها لزوجها .

ثم تدخل عليها الدوقة ( أوف بروك ) وابنتها ( الليدى أجانا ) فيدور الموضوع حول أولئك السيدات اللواتي يزججن بأنفسهن في المجتمعات ويمتدبن الأزواج ثم تلمح لها بأن اللورد وندرمير زوجها قد وقع فريسة حب سيدة دخيلة على المجتمع تدعى مسز ايرلن وأنه يشاهد كثيرا بصحبتها بل وفي بيتها ويفدق عليها من أمواله الشيء الكثير .

تفرغ الليدى وندرمير من هذا الاتهام ولا تصدق في بادئ الأمر ثم تتشكك تحت تأكيد الدوقة واحرارها على اتهام زوجها ، وتبارحها الدوقة بعد ذلك وهي فريسة للشك والاستغراب فتخلو الى نفسها ولا تكاد تصدق أن زوجها الذى تحبه وتتفانى في حبه

والإخلاص له ، والذي يريها من صنوف الولد بها ، والمطف عليها ما لا يكاد يكون بين زوجين ، لا تصدق أن مثله يمكن أن يكون خداعا ، وأن يبلغ به الخداع حد الإجادة بحيث تراه دائما في ثوب الطهارة والبراءة .

يعصف بها الشك ، وتقطعها الغيرة ، ويشور كبرياؤها ، فتفتح مكتب زوجها بعد تردد اثنتين ما اذا كان لزوجها علاقة بتلك المرأة ، وهل هو يمينها حقيقة بالمسال ؟ . اذا كان الأمر كذلك فسيحدثها دفتر شيكاته بالخبر اليقين . تبحث عن الدور فتجده عاديا وليس فيه ما يوحي بأن الزوج قد أعطى أحدا أى مبالغ ، فتطمئن وتقول لنفسها .

حقا إن زوجي من أخلص الأزواج ، وإن هذه المقتربات لا تعدو أن تكون من لغو الحديث . ويديها هي تضع دفتر الشيكات إذا بها تجد خلافا مغلقا ، فتفتحه من باب الاستطلاع وتخرج محتوياته ترى دفتر شيكات آخر... إذن فكل ما قيل صحيح !

تصددها الحقيقة ، وتأخذ عليها سبيل التفكير ، ويقع عليها الأمر وقوع الصاعقة ، فتنتابها الرسايس وتخيم عليها الأفكار السوداء ، وتكاد يحرفها الألم الفاتل ، وعندئذ يدخل زوجها ، فتشور في وجهه ، وترميه بالخيانة ، وبعلاقته الأثيمة بتلك المرأة المسماة المسزيران ، وتنسب مزاحمتها سبا قاسيا ، وترميه بالحلوسة والانحطاط فيحاول الزوج أن يدافع عن نفسه وعن المسزيران فتأخذ عليه سبل الرد بتلك المبالغ التي دفعها ، فيشور ويستنكر أن تعدى زوجته على أوراقه الخاصة ، وبعد هذا العمل شيئا لا يليق بزوجة تخلص لزوجها وتعرف حقوقه ، وتحترم خصوصياته ، ولكنها تبرىئ نفسها بأن هول ما عرفته عنه قد أعماها عن واجبات اللياقة ، وأن كل التقاليد لا تجسر على الوقوف أمام المرأة المطعونة في كبريائها .

تبدأ نائرة الزوج ويرثى لزوجته ويقدر شعورها ، فيحاول أن يهدئها ويشرح لها حقيقة الموقف قائلا :

— مبرحيت ، أنت لا تعرفين حقيقة المرأة التي ترمينها بكل هذه الألفاظ ، واني لو اتق أنك لو عرفت حقيقة لرثيت لها . لست أحاول أن أبرئ تلك المرأة أمامك ، ولكن يكفيني أن أقول لك إنها كانت تحتل في الماضي مكانة لا تقل عن مكانة أولئك السيدات اللواتي يتكلمن عنها ، ويرفعن عن مجرد ذكر اسمها . لقد كانت امرأة تحتل مكان الصدارة في المجتمع ، ولكنها انزلت فلفظها المجتمع ، وتركها تتخبط في تلك الطرق المتلوية التي يطرقها أمثالها ممن زلت بهم القدم ، ولكن ها هي ذى تعود ثانيا تائبة مستغفرة ، مقسمة أن تسلك سبيلا طيبا ، وأنها تريد أن تصلح من شأنها ، وتستعيد مكانتها الأولى ، ورجتني أن أعاونها ، واستعطفنتني ، فلم أملك إلا أن وعدتها بالمساعدة ، وبذلت كل جهدي في سبيل انتشالها من ورطتها ، فهل تجلين بالمساعدة لمن تاب واستغفر ورجع إلى طريق الحق . اني واتق أنك ستكونين أول من يلبي نداء الإنسانية . فتعلمين علي تحقيق غرضها فتقدميني الى المجتمع ، ولذلك أطمع أن تدعيها لحضور حفلة عيد ميلادك هذه الليلة .

ظلت الزوجة صامته حتى فاجأها زوجها بالسؤال الأخير فنارت وقالت : أنا ، أدعو تلك المرأة الى منزلي ، كلا وألف كلا ، ان تطأ منزلي ، وان أوجه إليها دعوة .

— مرحبيت ... إلك بدعوتها تعملين عملا طيبا تتايرين عليه .  
— كلا .

— وإذا رجوتك ؟

— أرفض .

— إذن ليس هناك إلا شيء واحد ؟

— ما هو ؟

— أدعوها أنا ( ويجلس فيحرد دعوة باسم المسز إيران ويعطيها لخدم يوصاها إليها ) بينما تقول الزوجة .

— إذا جاءت فلن أستقبلها ، بل وأزيدك علما أحي سأصفعها على وجهها بمروحي هذه التي اهديتها ( وتخرج غاضبة ) .

يكاد يفسى على الزوج من شدة الانفعال ويقول : رباہ ، لو أخبرتني الحقيقة لمست كبرياءها ولنالت منها .

وإذا كان الفصل الثاني رأينا قصر الليدي وندرمير وقد ازدان بالأنوار الوهاجة والأضواء الساطعة ، وبدأ المدعوون يقدون على القصر ، وكلهم من علية القوم ، تستقبلهم الليدي وزوجها ، وقد ظهرت على وجه الليدي علامات الألم المزوج بالإصرار والعزم ، وبينما كان الخادم يعان أسماء المدعوين وهم يقدون الواحد تلو الآخر ، انفرد اللورد وندرمير بزوجه بعد الخاج ، ورجاها أن تغلق عن عزمها ، وتستقبل المسز إيران استقبالا حسنا ، فرفضت بإباء ، فقال لها :

— إذا أصررت على تنفيذ ما عزمته فستسببين في إحداث كارثة . وعول على مصارحتها بالحقيقة التي يعرفها . وما أن هم بذلك حتى أخذ الخادم يعلن في صوت عال : المسز إيران .

دوت داتان الكلمتان فكان لهما وقع شديد في نفوس المدعوين وكلهم من الطبقة العالية وأخذوا جميعا خصوصا بمد أن بدت المسز إيران في أهبي زيتها . لم يتقدم أحد لاستقبالها فربة البيت قد أخذت بمرأها وارتبكت فمقطت منها مروحتها ولم تتقدم خطوة واحدة ، ولا تدرى الليدي نفسها شيئا عن سر ما أصابها من ارتباك ، ذلك السر الذي سلب إرادتها فأقعدها عن تنفيذ ما اعترمت . لم تطل مدة ارتباك المسز إيران فقد تقدم إليها اللورد وندرمير مرحبا ، واصطحبها ليقدها إلى المدعوين .

نجحت المسز إيران في اجتذاب المدعوين إليها ، بل تعلق الجميع بها ، وأصبحت محط عنايتهم واهتمامهم حتى أن الدوقة أوف بروك دعته لتناول الغداء على مائدتها وهي التي

كانت في الفضل الأول تدرجها وتحقر من شأنها وترميها بكل شنيع ، وكان أكثر المدعويين اهتماما بها اللورد أوجستس صديق اللورد وندرمير ، وكان قد رآها وأعجب بها قبل الحفلة وسمع عنها كل ثناء من صديقه اللورد وندرمير ، حتى صمم بينه وبين نفسه أن يخطبها .

والوحيدة في الحفل التي لم تحاول الاتصال بالمسز إيرلين هي الليدي وندرمير ، فهني رغم محاولات المسز إيرلين للتعرف بها لم تعرها اهتماما ، بل كانت تدرجها وتشيح عنها ، وكانت تبدي اشمزازا كلما رأت زوجها براقها يتحدث اليها .

لحظ اشمزازها ونفورها اللورد دارلينجتون فاستغل الفرصة وصارحها بما في نفسها ، وأضاف إلى ذلك أنه يحبها ويتمنى لو رضيت به زوجا بعد أن خانها زوجها وهجرها إلى تلك الدخيلة ذات السمعة السيئة ، ويزين لها حياتها معه ، وانكها تراض وتفضل أن تعيش مخلصا لزوجها ولو خانها . يصدم ويقرر الرحيل إلى الخارج كي يعيش ليقدم ذكرها ويسلوحها ، ويبارح الدار قاصدا منزله .

تشتد غيرة الزوجة خصوصا بعد أن انصرف المدعويون ، وخال المسز إيرلين إلى اللورد وندرمير وأخذ يتحدثان عن المبلغ الذي ينوي اللورد منحه لها كي تستعين به على الزواج من اللورد أوجستس الذي تقدم لخطبتها ، ففضل المسز إيرلين أن يكون حديثهما في الشرفة فتراهما الزوجة وتتموى شكوكها ، فستشيط غضبا وتقول على الحرب وتجلس إلى المكتب لتكتب خطابا إلى زوجها تودعه فيه وتبين له أسباب هربها ، وبعد أن تم خطابها تضعه في غلاف وتمنونه باسم زوجها وتخرج .

تدخل المسز إيرلين باحثة عن ربة المنزل لتودعها وتحاول ما استطاعت أن تتودد اليها ، فيخبرها الخادم أنها قد غادرت الدار بعد أن تركت خطابا لزوجها ، فيبدو الجزع على وجهها وتسرع بتناول الخطاب ، وتمزق غلافه بيد ترتجف وهي تقول ! أيمن أن يحدث للابنة ما حدث للام من عشرين سنة ، زباه لن يكون ذلك .

وتصرخ بعد أن تنهى من قراءته قائلة : أواه ، إن التاريخ يعيد نفسه ، وتحاول أن تسرع لتناق بها ، وفي أثناء ذلك يفاجئها اللورد وندرمير ، فتخفي الخطاب وتظاهر بالمرح كما أدتها ، وحينئذ يسألها عن زوجته تدعي أنها قد لازمت الفراش لتوعك بسيط أصابها ، فيظهر الألم على وجهه ويهم بالصعود اليها لولا أنها تستوقفه زاعمة أنها قد طلبت ألا يقفها أحد في هذه الليلة لأنها في حاجة إلى الراحة التامة ، فترجوه أن يبحث لها عن عرتها ، وبعد خروجه يدخل اللورد أوجستس ، فترحب به ، وتطالب منه أن يؤدي لها خدمة . وبعد أن يضع نفسه تحت تصرفها ، تطلب منه وهي تلوح له بقولها الزواج أن يصطحب اللورد وندرمير إلى النادي ، وأن يعمل على إبعاده عن المنزل أطول مدة ممكنة ، فيوافق .

يبدأ الفصل الثالث في منزل اللورد دارلنجتون ، فترى الليدى وندرمير وحيدة في قاعة الاستقبال ؛ وهي مضطربة تقطع الغرفة جيئة وذهابا ؛ تقعد تارة وتقف أخرى ، حائرة بين ثورة النفس ويقظة الضمير ، وعندما يتقلب عليها شعورها النبيل ، وتكاد تهم بمبارحة الدار عائدة الى منزلها ، تدخل عليها المسرايرلين شاحبة الوجه من عدة الأوصال ، وترجوها في توسل أنت تعود إلى زوجها وولدها والآن بسبب في هدم عشاها ، فترى الليدى في ذلك إهانة لكبريائها ، وتظن أن اللورد هو الذي أرسلها إليها زيادة في النكالية بها ، فتثور وتصمم على عدم العودة ، وعبثا تحاول المسرايرلين أن تمنعها بالعودة ، رغم احتمالها منها ما فتوهت به من كلمات التحذير والزيارة وهي في سورة غضبها وتقول لها : أنت لاتدريين يا ليدي وندرمير شيئا عن الطريق الشائك الذي تسلكه المرأة التي تصنع مثل ما صنعت وتهجر بيتها . سيعقب هذه الخطاوة خطوت لا يعلم إلا الله مداها . متلففك الأيدي وتعصف بك الأنواء ، وتزأر من حولك الرغبات ، فتقفين وأنت محطمة منبوذة ، تحتفرك الهيئة الاجتماعية وتزدريك ، وأنت عرضة للتفولات أينما ذهبت .

وتظل تضرب لها على هذه النعمة وتحدثها حديث الجرب وفي صوت كله ضراعة وإخلاص ، وتكاد عاطفتها تنقلب عليها وتهم بمصارحتها بحقيقة صلتها بها ، ولكنها تصمت أخيرا حرصا على سعادة ابنتها ، وتميد الرجاء ثانيا ، فلا تملك الليدى إلا أن تتأثر وتهم بمرافقتها إلى منزل زوجها ، وإذ بوقع أقدامه يترقب ، فتضطرب المرأتان ، ويظهر الشك في عيني الليدى وتكاد تهم المسرايرلين مرة أخرى بأنها قد دبرت لها مكيده للإياع بها ، وخصوصا بعد أن اقتربت الأصوات وتبين بينها صوت زوجها ، ولكن المسرايرلين تدفعها نحو ستار في صدر الغرفة لتختبي خلفه وتوصيها بالحرب إذا ما حانت العرصة . وفي عجلتهما تسمى الليدى مروحتها التي كانت قد أحضرتها معها ، بينما تختبي المسرايرلين في الغرفة الداخلية .

يدخل رب الدار اللورد دارلنجتون ومعه اللورد وندرمير واللورد أوجستس وبصحبتهم صديقان هما المستر جراهام والمستر وسي . وبعد أن يستقر بهم المقام يتناولون في حديثهم موضوع سفر اللورد دارلنجتون المفاجئ ، يتساءلون عن الأسباب . فيخبرهم أخيرا وبعد إلحاح عن فشله في حب امرأة متزوجة لم تبادلها الحب ، ويؤكد لهم رغم ذلك أنها امرأة طاهرة ومية لزوجها تستحق كل تعجيل واحترام ، وأنه سيعيش بذكرها بعيدا عن كل النساء ، فيسخرزون منه ويتفرقون في أنحاء الغرفة ، فيأصح المستر جراهام مروحة الليدى وندرمير على أحد الأتاع فيضج بالضحك ويدعو الجميع الى رؤية ما يضمه منزل الرجل الذي يدعى انقطاع صلته بالنساء ، فلاشك أن وجود المروحة الخاصة بالمرأة دليل على وجود امرأة في البيت .

يتراخون جميعا لرؤية المروحة فتقع عين اللورد وندرمير على مروحة زوجته فيعرفها ويمسك بها محتدا ويصيح في وجه اللورد دارلنجتون متسائلا عن سبب وجود تلك المروحة

في بيته ، فبتدو الدهشة واضحة على وجه رب الدار ، ويفطن إلى وجود الليدي في منزله ، فيرتبك لحظة يكون فيها اللورد وندرمير قد صمم على تفتيش المنزل ، ولكن شجاعة رب الدار لم تلبث أن تعود إليه فيمنع اللورد من التفتيش مهددا . يتحرك الستار فيهجم عليه اللورد وندرمير ، ولكنه يتراجع اذ يفتح الباب الخائبي وتظهر منه المسز ايرلن .

تاجم الدهشة السنة الجميع و يلفتون البها ، وقد سادهم الصمت ، وفي أثناء ذلك تكون الليدي وندرمير قد انتهت الفرصة — وهي آمنة أنظار الحضور المأخوذتين بتطور الموقف — وتسللت الى الخارج . تتقدم المسز ايرلن اليهم وهي تقول :

— معذرة أيها السادة ، لقد أخطأت وأخذت مروحة الليدي وندرمير أثناء خروجي من منزلي بدلا من مروحتي .

وفي الفصل الأخير تبدو الليدي وندرمير في منزلي وهي جالسة على أحد المقاعد ، تأسف أشد الأسف على تصرفها اللبابة الماضية ، وتحدث نفسها بمعجبة بكرم المسز ايرلن وعظمت تضحياتها وتقول :

— كم نقول على هذه صالحة من النساء وتلك سيئة ، وكم تسخر منا الحقيقة . سأخبر زوجي بكل ما حدث .

يدخل اللورد وندرمير ويقترح عليها الرحيل الى الخارج تبديلا للهواء . توافقه مسرورة ، ولكنها تستمهله حتى ترد زيارة المسز ايرلن . يعارض الزوج بشدة ويمنعها من مجرد التفكير في تلك الزيارة ، ويحرم عليها استقبالها في منزلي قائلا إن تلك المرأة ليست جديرة بالاحترام بعد أن اتضح حقيقتها أخيرا ، وأنه كان يعتقد أنها مجنى عليها ، وقد أراد أن يباعداها على استرجاع مكائنها الأولى في المجتمع ، ولكن عبثا حاول ، فقد خدعته تلك المرأة واتضح أنها امرأة فاسدة شريرة . تنبرى الليدي للدفاع عن منقذتها بجملة وإخلاص يدهشان اللورد ، وفي أثناء ذلك يعلن الخادم مجيء المسز ايرلن لرد مروحة الليدي . فتطلب منه سيده ادخال الزائرة ، يشور الزوج ويحتد ، وينمكس الموقف الذي وفتاه حيال المسز ايرلن في الفصل الأول .

تدخل المسز ايرلن مرحلة كعادتها فتقبل عليها الليدي مرحبة بينما يقف اللورد وهو لا يكاد يكظم غضبه . ويدور الحديث بين السيدتين فيقول المسز ايرلن :

— جئت أعتذر وأرد اليك مروحتك ، وأيضا لأودعك .

— تودعيني ، لماذا ؟

— سأسافر الى الخارج .

— أرجو أن أراك مرة أخرى .

— لا أظن ذلك .

بيدو الألم واحتضا على وجه الاليدى ، وتشعر باحساس عجيب يدفعها الى المسز ايرلن ، فتطالب منها المسز ايرلن ان تهديها صورة لها هي وطفليها فتخرج لتلبية طلبها وتصعد لاحضار الصورة من غرفتها . وفي أثناء ذلك تشتد ثورة الاورد ، ويعف المسز ايرلن على جراتها بالعودة الى منزلها بعد ان حدث منها ما حدث . فتجيبه بكل بساطة :

- إنه منزل ابنتي .

- لا تقولى انها ابنتك ، انت لا تملكين حق التفوه بهذه الكلمة المقدسة . من أين لك أن تعرفى عاطفة الأمومة ، أنت يامن قضيت حياتك فى الأوحال ، لقد خدعت بتوسلاتك لكى ارفعك الى مكانتك فى الماضى وتحملت فى سبيل ذلك كل شىء حتى أمتنع دارك عن زوجتى التى أحبها وأفتديها بكل شىء ، ولكنك أبيت حياة الفضيلة والشرف . أين لك الشعور بالأمومة ؟ ، ان الأم الحقيقية هى التى تعرف معنى انكار الذات فى سبيل اولادها ، ومعنى التضحية فى سبيل اسرتها ، فمن أين لك ذلك ؟

- لك الحق فى كل هذا ، ومع ذلك فقد شعرت بملك العاطفة مرة واحدة فى حياتى ، وكانت هذه المرة بالأمس فقط ، أنا الذى عشت عشرين سنة بلا قلب .

- لا يمكننى أن أهدق هذا الكلام ولن أسمح لك بارتياذ منزلى مرة أخرى ، وحتى هذه الروحة لست أحب أن تمسك بها زوجتى بعد أن دسنتها يدك .

- سأسال ابنتى أن تعطينى اياها .

تدخل الاليدى وتقدم اليها الصورة وتجلس الى جانبها فى حنان زائد . فتشكرها المسز ايرلن وتسالها عن اسم ابنتها . فتقول :

- لقد أسميته باسم والدى ، ولو كان بنتا لأسميته باسم والدتى رحمها الله .

- وماذا كان اسم والدتك ؟

- مارجرىت ، كاسمى .

- وهو اسمى أيضا ، ماذا تذكرين عن والدتك ؟

- لقد ماتت رحمها الله وأنا صغيرة جدا كما قال لى أبى .

- وماذا كان يقول عنها أيضا ؟

- كان يقول إنها مثال الشرف والاستقامة ، وكان يقول أيضا إنها كانت كالملائكة فى طهارتها حتى صارت مثل الأعلى فى الحياة ، ولذلك فأنا لا أصلى مرة إلا وأذكرها كما يذكر الناس الأنبياء ، ولم يحدث أن ذكرتها وفلت ما أندم عليه ، ومرة واحدة لم أذكرها ، وكان ذلك بالأمس .

- وهى أنك سمعت عن والدتك ما يخالف هذه الحقيقة ؟

— كان ذلك يقوض سعادتي .

— كأنها ؟

— أجل كأنها .

عندئذ هبت المسز ايرلن واقفة وهي تغالب ما اعتاج في نفسها من عواطف ومدت يدها إلى الليدي مودعة . فالتفت الليدي إلى زوجها الذي كان يرقبها من طرف الغرفة وطلبت إليه أن يبحث عن عربة المسز ايرلن . وبعد خروجه التفتت اليها وأرادت أن تشكرها على عظم تشجيعها متمنية أن ترد لها الجميل . فقالت المسز ايرلن :

— أرجو ألا تشكريني على العمل الطيب الوحيد الذي فعلته في حياتي ، وإذا كان هناك ما تفعلينه من أجل في هو أن تنسى كل ما حدث في الليلة الماضية .

وهاد اللورد بعد أن وعدتها بذلك فكررت وداعها وسألها أن تعطيا المروحة لتذكرها بها . فقدمتها مبهجة رغم اعتراضها بهدية زوجها . وبينما هي تهم بالخروج اذ باللورد أوجستس الخطيب الغاضب يدخل فيفاجأ بوجود المسز ايرلن ويبتعد عنها خلاف العادة ولكنها تجبره على حمل مروحتها واصطحابها إلى عربتها . وبعد خروجهما باحظات يمود اللورد أوجستس وهو يكاذ يطير من الفرح ، والبشر يعلو وجهه ويقول :

— لقد ظلمنا المسز ايرلن ، فهي لم تذهب عند اللورد دارلنجتون إلا لتبحث عني لتخبرني بموافقتها على الزواج مني ، فالمسكينة لم تستطع صبرا حتى الصباح ، لاني لمعيد حقا بموافقتها .

تقبل عليه الليدي وزوجها وتسأله بفرح .

— أستزوجان حقا ؟

— أجل ، إنها سيدة فاضلة .

فيقول اللورد :-

— وذكية أيضا .

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية بيولاك  
في يوم ١٨ من صفر سنة ١٣٦٢  
(٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٣) م  
مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى